وسئل رضي الله عنه في الدين والحياة

obeikandl.com

obeikandl.com

فى أمر الحكم فى الإسلام

إن أمر الحكم فى الإسلام مبنى على الشورى يقول سبحانه : (وأمرهم شورى بينهم) ويقول تعالى لرسوله ﷺ : (وشاورهم فى الأمر) وأمر الحاكم فى الإسلام مبنى على الرعاية ، يقول صلوات الله عليه وسلامه : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » فالحاكم داخل فى هذا العموم الذى فى الحديث الشريف . والمثل الأعلى فى الإسلام بعد الرسول ﷺ وبعد ، أبى بكر رضى الله عنه هو سيدنا عمر بن الخطاب الذى كان يمعن النظر فى كل صغيرة وكبيرة مما يقترح عليه من أمور الدولة والذى كان يسهر على شئونها ، مؤمناً بأن الله سبحانه سائله عما استرعاه كيف كان تصرفه فيه . . وقد حذر الرسول ﷺ أن يهمل الحاكم فى العناية بأمور الدولة ، يقول ﷺ فيما رواه البخارى ومسلم : « ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة » .

وفيما رواه الإمام مسلم عن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : فى بيتى هذا : « اللهم من ولى من أمر أمتى شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه ، ومن ولى من أمر أمتى شيئاً فرفق بهم فارفق به » . وإن الحاكم الذى لا يمعن النظر فيما يُقترح عليه من أمور الدولة غاش لرعيته وهو من أجل ذلك داخل فى حكم رسول الله ﷺ بتحريم الله عليه دخول الجنة . وأما سماع أقوال الوشاة فإنه من الغيبة ، لقد حذر الله ورسوله عن الغيبة : قولها وسماعها ، وما أبشع الصورة التى صورها الله عن الغيبة ، يقول سبحانه (ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم) .

ويقول سبحانه (يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) .

وإن الحاكم الذى يصغى إلى أقوال الوشاة ولا يمعن النظر فى تحقيق ما يسمع مهمل أيضاً يحرم عليه دخول الجنة بنص الحديث . ولقد كان رسول الله ﷺ يوصى بأن لا يحدثوه عن أصحابه بما يسىء ، لأنه يريد أن يلقاهم دائماً بصدر منشرح .

فى القانون الإلهى والقانون الوضعى

كل حضارة لها شطران : شطر مادى ، وشطر روحى ، أو معنوى أو نظرى بحت . ففيما يتعلق بالشطر المادى ، فهو هذا الشطر الذى يعتمد على الحس وعلى العقل ، ويعتمد على المنهج السليم ، وهو منهج الملاحظة والتجربة والاستقراء .

وهذا الشطر يتطور ويرتقى ويتكون شيئاً فشيئاً ، ويسير دائماً فى طريق الرقى ، لأن هذا الشطر من الحضارة له مقياس يحسم به الخطأ والصواب ، ويحسم به الباطل من الحق ، وهذا المقياس هو التجربة ، فكل أمر يختلف فيه العقل أو الحواس التجربة تحسمه ، لأنها خير مقياس يضم الحواس ويلزم العقل .

ومن هنا فقد كانت الثمرة الدائمة للحضارة هى : الترقى الدائم ، وقد وصل العالم الآن إلى القمر ، لأن التجربة المستمرة ، عبر أخطاء تم تلافيها أولا بأول أوصلت الدفع الصاروخى إلى التغلب على العوائق التى كانت تثيرها الجاذبية الأرضية واختلاف طبقات الجو ، من حيث الطبيعة والمناخ والتكوين .

وليس الأمر كذلك ، فيما يتعلق بالشطر الروحانى أو النظرى من الحضارات الإنسانية .

وأقصد بهذا الشطر النظرى : العقيدة والأخلاق والتشريع ونظام المجتمع . هذا الشطر لم يصل بعد إلى الشأو الحاسم فى الرقى الذى وصل إليه الشطر المادى ومازال فيه مستمرًا ، ربما لأن من خصائص النظريات العقلية أنها لا مقياس لها . ما هو المقياس الذى نقيس به الخطأ والصواب ، فيما يتعلق بالسلوك من ناحية العقل ؟ ليس هناك مقياس . وعقليًا ، ما هو المقياس الذى نقيس به الخطأ والصواب فيما يتعلق بالعقيدة ؟

وعقليًا ما هو المقياس الذى نقيس به الخطأ والصواب فيما يتعلق بالمجتمع ؟ لا شىء . . وعقليًا ما هو المقياس الذى نقيس به الخطأ والصواب فيما يتعلق بالتشريع ؟ لاشىء . . ولهذا بقى هذا الشطر حتى الآن خلال تاريخ الإنسانية الطويل ظنيًا يمكنك أن تثبته بأدلة ، هذه الأدلة يمكنك دائماً أن تنفيها وأن تدعمها . . ثم يأتى آخرون ويهدمون العموم وينفون النفى .

وكل مسألة من مسائل التشريع فيها رأى معارض لرأى آخر . ومنذ أيام (أرسطو) ومقياسه الذى هو المنطق ، والإنسانية تبحث بجهودها الخاصة عن مقياس للأمور النظرية وللتشريع وللأخلاق وغير ذلك . ومنذ ابتداء العصر اليونانى قبل الميلاد والإنسانية تضع فى التشريع ونظم

المجتمع وأخلاقياته نظماً كثيرة وتشريعات شتى لاتستقر عليها سوى سنين أو قرون معدودات ثم لاتلبث أن تهجرها .

ولنتوقف قليلا عند المفكر الفيلسوف الإغريقى (أفلاطون) الذى حاول أن يوجد تشريعات أو نظاماً للمجتمع . . فألف(جمهوريته) كنظام للمجتمع المتكامل .

لقد قسمه إلى طبقات ، واعتقد أن نظام الطبقات هو النظام الطبيعى فى العالم ، فهناك طبقة المفكرين فى المجتمع ، وهناك طبقة العواطف ، وهناك طبقة الشهوات ، وقد سمى الطبقة الأولى الطبقة الذهبية « طبقة رجال الفكر » وسمى الطبقة الثانية الطبقة الفضية « طبقة الجنود » ، وسمى الطبقة الثالثة الطبقة النحاسية ، وهى طبقة « التجار والصناع والزرّاع والعاملين فى الإنتاج » .

حاول (أفلاطون) بعد هذا أن يضع نظاماً لكل طبقة ، فحدد سن الزواج للفتاة ، وسن الزواج للرجل من كل طبقة ، ففيما يتعلق بطبقة الإنتاج مثلا . . حدد الزواج للفتاة فيما بين سن العشرين ، وسن الخامسة والأربعين ، والأطفال الذين تنجبهم الفتاة بين هذين السنين هم الأطفال الشرعيون فقط فى اعتباره ولا شرعية لمن تنجبهم فى غير هذه السن ، ويتركون فى العراء حتى يموتوا ، وفيما يتعلق بالرجل فقد اعتبر شرعية الأطفال واجبة فيما بين سن الرابعة والعشرين وسن الخمسين ، ومن هنا لا يتم الإنجاب إلا فى هذه الحدود ، وإذن فالأطفال الذين يولدون خارج هذه الحدود ماذنبهم ؟ ذنبهم أنهم أتوا إلى الدنيا فى غير هذه السن المحددة .

وأما طبقة الجيش فينبغى ألا تتزوج – فى رأى أفلاطون – زواجاً مستمرًا ، ويجب ألا تمتلك شيئاً : لا ملابس ، ولا عقارًا ، ولا مالا ، ولا زوجة ، ولا أولاداً ، وإنما يأتون فى ليلة معينة ويعقدون زواجاً بالقرعة لمدة سنة . والأطفال الذين يأتون ثمرة هذا الزواج يودعون فى مصحة أو ملجأ ويكونون أبناء للدولة ، فضلا عن هذا يرى أن الشاب الممتاز جسميًّا وعقليًّا ، يتصل جنسيًّا بمجموعة كبيرة من الفتيات الجميلات . ومنطقه فى هذا ، كما يقول فى جمهوريته نحن نعنى بالخيل ، فننتجب منها سلالات ممتازة ، فلِمَ لا نعنى بالبشر ، مثلما نعنى بالخيل ؟

إن الشبان الممتازين صحيًّا وبدنيًّا ، وجماليًّا ، يجب أن نأتى لهم بالنساء الممتازات صحيًّا وبدنيًّا وجماليًّا ، ولا نجعل بينهما قيوداً فى الاتصال الجنسى ثم نأخذ السلالة الممتازة الناجمة عن اتصالها ، لتكون نواة لارتقاء نوعية البشر فى الجمهورية .

ثم إن أفلاطون حدد الملكية ، فلم يسمح للرؤساء وهم طبقة رجال الفكر أن يملكوا ، ولم يبحها كذلك – كما رأينا – للجند . . وإنما أباحها للرجال من طبقة الإنتاج ، وبشرط أن يكون هناك حد أقصى للملكية ، لا يتجاوز أربعة أمثال المتوسط ، يعنى مثلا : إذا كان متوسط نصيب

الفرد فى مدينة ما ، نصف فدان ، فيجب ألا يملك شخص أكثر من فدانين ، وفى جمهوريته : إذا ولد طفل مريض يُعدم .

وإذا ولد طفل مصاب بعاهة يعدم ، وإذا ولد طفل مشكوك فى ذكائه يعدم .

وليس فى جمهورية « أفلاطون » مكان للشعراء والأدباء ، ولقد دُعى « أفلاطون » نفسه مرة لتطبيق جمهوريته ، فأخفق إخفاقاً كاملا ، ثم دُعى مرة أخرى بعد سنوات فأخفق أيضا إخفاقاً كاملا .

ومضت الإنسانية – فى طريق التجربة والخطأ – تبحث عن تشريع يحكمها ، ويزيل خلافاتها ويقيل عثراتها . . وكان من تجاربها المثيرة فى هذا المجال مذهب المزدكية ، الذى استفحل أمره لدرجة أن ملك الفرس اتبعه واعتنقه وطبقه ، وهو مذهب يبدأ منطلقه الفكرى من سؤال مطروح هو : ما الذى أقلق الإنسانية وأرقها وأتعبها منذ فجر التاريخ ؟ وأجاب المذهب المذكور قائلا : (المال والنساء) ولكى نزيل قلق الإنسانية فلابد أن تكون هناك شيوعية كاملة فى المال والنساء .

وصادف ذلك هوى لدى ملك الفرس ، فاتبع المذهب ، وذهب مزدك وأتباعه إلى القصر وأحبوا الاتصال بنساء الملك وبناته .

وأخذ ولى العهد يتضرع إلى مزدك ويرجوه ،فى أن يترك والدته وإخوته حتى لقد قبل قدميه ، وهو يتضرع إليه فترك مزدك أمه وإخوته ، ثم آل المُلْك إلى ولى العهد فأتى بمزدك وقتله .واندثرت تجربة إنسانية أخرى ، تبحث عما تعتقد أنه عدل ، وحق .

واستمرت الإنسانية فى بحثها القلق ، الذى تدفع ثمنه دائماً من أخطائها .

فتأتى مثلا إلى المذهب (المانى) نسبة إلى شخصية المفكر الفارسى (مانى) قال « مانى » إن العالم فى ضيق دائم ، وكرب مقيم ، بسبب الصراع والجشع والعداوات والبغضاء المستشرية بين الناس فى سبيل أغراض الدنيا ، وإذا كان الأمر كذلك فلِمَ يستمر هذا العالم ؟ إن مجموعة من الرجس والقاذورات والشرور ، يجب أن تزول ، وخرج الفيلسوف العبقرى من هذا السؤال برأى هو : إذا تطهر العالم من الناس فقد تطهر من البؤس والشقاء والشر ، ولكى يتم تطهير العالم من الناس ، فقد شرع « مانى » أن يمنع الزواج ويمنع الاتصال الجنسى . . وبهذه الطريقة لا يولد أطفال فى المجتمع ويموت الناس ويندثرون فى مدى سبعين أو ثمانين سنة ، وربما مائة ، وبهذا تتطهر الأرض من الرجس ، والضلال والشر .

واتبع « مانى » كثيرون ونقص النسل ، وكان فى هذا إضعاف للدولة ، وأتى به ملك الفرس

وسأله عن مذهبه أمام حشد من الناس من أتباعه ، فراح « مانى » يحدثه بمنطقه عن مذهبه ويدعو إليه .

فقال له ملك الفرس : مادمت ترى أن تطهير العالم من الناس ينهى الشقاء فيه . فلنبدأ بتطهيره منك ، وفعلا أمر بقتله ، وقتل أتباعه .

الاختلاف فى التشريع لاحد له فهناك تشريع شيوعى ، وهناك تشريع رأسمالى ، والشيوعية نفسها ملل ونحل ، فهناك شيوعية يمينية ، وهناك شيوعية يسارية ، وهناك شيوعية اشتراكية ، وهناك شيوعية معتدلة ، وهناك شيوعية متطرفة وغير ذلك .

وفى « الرأسمالية » يمين متطرف ، ويمين معتدل ، ويمين اشتراكى يسارى ، يجد نوعاً من الملكية .

وبعض هذه التشريعات الحديثة تلغى الأديان نفسها ، « والصهيونيون » يعترفون علانية فى كتاب « برتوكولات صهيون » أنهم هم الذين رتبوا نجاح كارل ماركس الذى خرج على العالم بأنه يجب أن يزول الدين ، ويجب أن تتطهر الإنسانية من الدين ، ومن فكرة الإله .

ووجد « كارل ماركس » من يتبعه وينشئ دولا على منهاج مبادئه ، ولست أدرى هل يمكن أن يكون هناك دليل أقوى من ذلك ، على أن الإنسانية التى وصلت إلى الذرا فى حضارتها المادية ، قد توقفت فى بعض نواحيها ولم تتقدم خطوة واحدة من الناحية الروحية .

والخلاصة : أنه ليس هناك مقياس عقلى واضح أو مبين أو ثابت فى المسائل العقلية والنظرية والتشريعية يفصل بين الحق والباطل . . وإلا لما تقبلت بعض المجتمعات ونفذت أفكاراً تدعو إلى شيوعية النساء وشيوعية المال وإلغاء الناس بالمسرح عن الله ، كما قال « كارل ماركس » وفى هذا يقول « سقراط » إن العقل الإنسانى بالنسبة للمسائل النظرية كلوح من الخشب ، يريد أن يعبر به الإنسان بحراً هائجاً ، لجىّ العواصف .

ولهذا التعارض كان لابد من سفينة آمنة ، لا تغرق فى البحر بالإنسانية ، ولا ترعزعها العواصف والأعاصير ، ولقد نزلت الأديان هداية للعقل فى الجانب النظرى . .

نزلت فى التشريع ، والأخلاق ، ونظام المجتمع ، ومن خصائص الوحى فيما يتعلق بالتشريع أنه هاد للعقل ، ولا يتأتى أن يكون هناك إيمان أبداً بدون الاعتقاد بأن الدين هاد للعقل ، ويكون خارجاً عن دائرة الإيمان مَن اعتقد غير هذا .

ونزل التشريع الإلهى معصوماً ، وهذه قضية أخرى يؤمن بها كل مؤمن ، هذه العصمة يعبر

عنها الله سبحانه وتعالى بقوله : (ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم) . وقال : (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا مَن خلفه تنزيل من حكيم حميد) .

ومن خصائص التشريع الإسلامى الإلهى أنه يكف الإنسان تماماً ، عن محاولة الخروج عليه . أما بالنسبة للتشريع الوضعى فإذا أنت وجدت فرصة للخروج عليه ، دون أن تضبط فلا جناح عليك ، مادامت عين القانون لم تلمحك لدرجة أن بعض الفلاسفة المنحرفين مثل « نيتشه » الذى أشاد به « اليهود » وروجوا له ، يقول : إذا أمكنك أن تخرق القانون الوضعى فاهدمه إذا استطعت هدمه ، إذا كان ذلك فى مصلحتك . بشرط أن تكون ذكيًا لا تقع تحت طائلته . وبتعبير آخر : إذا كنت تقود سيارتك بسرعة فائقة وصدمت إنساناً ، وقتلت بذلك النفس التى حرم الله بغير حق ، واستطعت أن تفر دون أن تضبط ودون أن يتمكن أحد من التقاط رقم سيارتك ونجوت من المحاكمة والعقاب فإنك تكون « ماهراً » أو « شاطراً » لأن القانون الوضعى لم يضبطك . . أما القانون الإلهى فهو يكف الإنسان ظاهراً وباطناً ، فى حين أن القانون الوضعى لا يكفه إلا ظاهراً ، فالله عليم بذات الصدور ، ولكن القانون الوضعى علم بما يراه الشهود فحسب .

ومن خصائص القانون الإلهى : أنه حينما يطبق تعزُّ الدولة التى تطبقه . . وحينما يغفل عنه يُذلّ المجتمع الذى أدار له ظهره . . إما بالتناحر والبغضاء فيما بين الناس ، وإما باستذلال المجتمع للفقراء أو للاستعمار ، أو للتخبط والهزيمة.حينما طبقته الأمة الإسلامية فى عهد الرسول ﷺ ، وحينما طبقته فى عهد الصحابة – الخلفاء الراشدين – كانت الأمة التى لا تغيب عنها الشمس ، وليس بمنكور قصة الخليفة الذى رأى سحابة فقال لها : « امطرى حيث شئت فسيأتينى خراجك » . .

طبقت الشريعة فطهرت النفوس ، وظهرت القوة وتم النصر ، وكان المسلمون يخوضون المعارك بروح الفداء والشريعة والإيمان ، وكانوا ينتصرون على أضعاف أضعافهم عدداً ، وعلى من هم أقوى منهم سلاحاً وعدة « كما حدث فى معركة القادسية مثلا » ، لأن هناك جزءاً من حافز القتال وهو إيمان المؤمن بعدالة القانون الذى يحكمه ، والمساواة بينه وبين جميع الرعايا فى هذه المعادلة ، ومن هنا يقبل الموت والفداء سعيداً مستبشراً ساعياً إلى النصر ، أو الشهادة بدلا من أن يتباطأ أو يتخاذل ، وشعاره المضمر أو المعلن : « اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون » .

وقد كان الحث على لزوم الشريعة حازماً ، (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) (ومن لم يحكم بما أنزل الله ، فأولئك هم الفاسقون) .

(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) . (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما

شَجَر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً) ما المانع من تطبيق الشريعة الإسلامية بدلا من القانون الرومانى وقانون نابليون ؟ حقًّا : لماذا ؟

لقد انتصرت الأمة الإسلامية ، وعزت فيما سبق فى ظل إيمان ثابت وطيد بالإسلام ، وكانت محترمة بين الأمم ، مهيبة الجانب ، قوية الشوكة طيلة تمسكها بالشريعة الإسلامية ، ثم بدأت شيئا فشيئاً تنصرف إلى الانحلال والبعد عن الشريعة ، وجاء الاستعمار ، فكان من أهم أهدافه أن يستلها عن طريق القضاء نهائيًّا ، على شريعة الله واستبدالها بقانونه الوضعى ، أتى بعشرات القضاة من بلاده ، بثيابهم المزركشة وشعورهم المستعارة ، ووقارهم المزيف ليحكموا بغير ما أنزل الله ، وباسم الحرية الشخصية قتلوا كرامة الإنسان بإباحة الربا ، والبغاء العلنى . وقد حرص المستعمرون قبل أن يخرجوا من قطر من الأقطار بعشرين أو ثلاثين سنة أو أكثر على أن يخططوا لمستقبلهم فى تلك الأقطار ، ولم يجدوا خيرًا من أن يذيبوا – نهائيًّا – طاقات الأمة التى يتركونها فى غمار ثقافتهم والتزاماتهم الفكرية ، ومقاييسهم الحضارية فيما يتصل بالسلوك والتشريع .

وفى بعض الأقطار الإفريقية ، حين أرادوا أن يجعلوها موالية للغرب أخذوا خمسة وثلاثين ألف لقيط ويتيم ، وكفلوا لهم رعاية أسطورية فى ظل مذاهب تعادى الإسلام ، وخرَّجوا منهم المهندسين والأطباء والقادة والإداريين ، فلما خرج الاستعمار بجنوده بقى أبناؤه الروحيون هم الذين يقودون أفئدة تهوى إلى المستعمرين بمثلهم العليا ، وأساليبهم وأخلاقياتهم ، وترتبط بهم وتدور فى فلكهم . ففى مصر مثلا ، خرج الاستعمار بجنوده بعد أن زرع فيها مدرسة الحقوق ، التى كان نصيب الشريعة الإسلامية فيها ساعتين من اثنتين وعشرين ساعة فى الأسبوع ، وترك قوانين يخالف بعضها ما أنزل الله ، ولما تملكنا نظام سياستنا التعليمية لم نخرج عن قوانين نابليون ، والقانون الرومانى ، والقانون البلجيكى . والنتيجة أن المحامى والقاضى وعضو النيابة الذى يتخرج فى كلية الحقوق فى مصر ، وفى كثير غيرها من البلاد الإسلامية ، يخرج بعقلية أوربية ، وفكر أوربى ، وأنماط أوربية فى القياس والتوجيه والمنطق . . وماذا يريد الاستعمار أكثر من أن يربط إليه أبناء أمة يتركها بهذه الطريقة ؟ الذى حدث شىء يستمر الإنسان فى الحديث عنه فى حسرة وألم يحزّان فى النفس .

حدث فى غيبة التشريع الإلهى ، هذه الكثرة من جرائم السرقة لو اتبع التشريع الإسلامى لما كانت هناك سرقة ، ولننظر إلى بلاد أخرى غيرنا ، بلاد حولنا تطبق شريعة الإسلام وحدود الله فى جرائم السرقة .

فى المملكة العربية السعودية مثلا : قبل أيام الملك « عبد العزيز آل سعود » كانت هناك

سرقة ، وكان هناك نهب وقتل ، وكان حجاج بيت الله الحرام يسيرون فى حراسة الجيش ، لدرجة أن مصر كانت ترسل مع حجاجها كتيبة من الجيش تحرس الحجاج .

وجاء الملك « عبد العزيز » وأمر بتطبيق شريعة الله وحدوده ، فانتهت جريمة السرقة ، أو كادت تنتهى ، ولقد حدث أن زار السعودية منذ سنين قليلة وفد أوربى يضم مفكرين ومشرعين وفلاسفة من إيطاليا وفرنسا وألمانيا ، وانبهر الوفد لسبق الإسلام فى كثير من التشريعات ، فيما يتعلق بحقوق الإنسان ، بل اكتشف أن بعض مواده لم ترق إليها الحضارات الموجودة بعد . ولكنه تساءل فى نهاية الحوار الذى دار بينه وبين بعض علماء الإسلام السعوديين ، تساءل عن قطع يد السارق : أليس فى ذلك بشاعة ؟ أليس فى ذلك قسوة ؟

فقال العلماء السعوديون للعلماء الأوربيين : انظروا إلى هذه الصحراء المترامية يسير فيها الإنسان وقد لا يسمعه فيها أحد أو يراه أحد أو يحس به أحد واملئوا سيارة من الذهب أو الفضة أو المال أو النفائس وانتقلوا بها فى الصحراء من مدينة إلى مدينة ، أو فاتركوها إذا تعطلت السيارة بها وسط الصحراء وهيموا على وجوهكم بحثاً عن المعونة ، ثم عودوا إلى السيارة تجدون ما بها سليماً لم تمسه يد ، وقارنوا بين هذا وبين ما يحدث فى مدينة مثل « نيويورك » فى ساعة واحدة ، كم حادث سرقة وقع ؟ وكم حادث قتل ؟ وكم حادثة اغتصاب ؟ .

وقال العلماء السعوديون : إنه فى مدى ثمانية عشر عاماً لم تطبق حدود الله فى قطع اليد – على أكثر من ستة أو سبعة على أكثر تقدير ، ولكن جريمة السرقة انقطعت تماماً ، وماذا حدث فى غيبة التشريع الإسلامى ، هذه الأنهار من الخمور ، والكثرة الكاثرة من الخبائث والمنكرات . مصر بلد إسلامى – ومازالت الأقطار الأخرى تحسن الظن بمصر ، لكن البعض فى هذا البلد يتباهى بإنتاج البيرة والخمر ، فى الأسبوع الذى ذكرت فيه الجرائد أن مصر كسبت مليون جنيه من البيرة ، كتبت هذه الجرائد نفسها أن « السينما » خسرت ثمانية ملايين جنيه ، ثم يقولون – فى تبرير إباحة الخمور إنما نبيع الخمور من أجل السائحين ، كل هذا هُراء ، لا يأتى إلا من المنحرفين عقلياً ، وأخلاقيًا ، وليس عندهم فكرة عن الآية الكريمة :

(ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) يجب أن يعود التشريع الإسلامى – يعود لأمرين :

١ – الأمن على النفس ، والمال ، والعرض ، يتسنى ذلك حتى لمن لم يكن مسلماً .

٢ – استمرار النصر بتوفيق الله تعالى .

حينما كان شعار الجندى المصرى « الله أكبر » فى (حرب رمضان) صمدت « الله أكبر »

مبشرة ، بزمرة من المؤمنين انفصلت عن الانحراف ونطقت بكلياتها « الله أكبر » ولكن هذا النصر له قوانين لضمان استمراره ، إن الله سبحانه وتعالى ذكر قوانين النصر والهزيمة .

فإذا ما تخلينا عن الله سبحانه وتعالى : تخلى الله عنا ، أما قوانين النصر فمنها : (الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتو الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) كل بحسب موقعه فى المجتمع « أمر بمعروف ونهى عن المنكر » .

إذا انصرفوا عن ذلك فليس هناك ضمان لاستمرار النصر .

هناك مطالبة من كثير من الطوائف ، وهناك بطبيعة الحال استجابة فى مجلس الشعب وإلاّ فلا يصح أن يكون ممثلا لأمة إسلامية ، ويكون لكم الفضل – أيها القراء ، والمفكرون والزعماء فى وضع القوانين التى يستمر بها النصر والأمن على المال والعرض والنفس .

(ومن يعتصم بالله فقد هُدِىَ إلى صراط مستقيم) .

فى الانتخاب

إن انتخاب إنسان نائباً عن دائرة من الدوائر ينبغى أن لا يكون من أجل مصلحة شخصية ، وإنما يكون من أجل صفات فى النائب تجعله أهلا للنيابة ، وينبغى أن لا يكون انتخابه من أجل وعود أو عهود يرتبط بها أمام الناخبين ، خصوصاً إذا كان الناخبون يعرفون فيه من قبل أنه ليس أهلا للنيابة عنهم ، إن الانتخابات أمانة تؤدى للمخلص الكفء دون أن تكون هناك حاجة إلى عهود أو وعود قد لا يتمكن فى المستقبل من أدائها ، وقد لا يكون أداؤها فى يده وحده دون معارضة .

وعلى كل حال فإن العهود والمواثيق التى تتصل بوجوه الخير والتى تكون فى سبيل الله إذا أخل النائب بها متعمداً أو مهملا لها غير مبال لها فإنه يدخل بذلك تحت الآيات والأحاديث التى تناولت ذلك وحذرت منه تحذيراً شديداً ، من ذلك قول الله تعالى : (يأيها الذين آمنوا لِمَ تقولون ما لا تفعلون ، كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) .

ومن ذلك ، قوله ﷺ : « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان » .

أما إذا دعا بالخير وعمل على تحقيق وعده ما استطاع فحالت الظروف دون ذلك فإنه مثاب مأجور على إرادة الخير والعمل له ، ومن همَّ بحسنة فلم يتيسر له تحقيقها كتبت له حسنة .

فى شعار الإيمان للدولة

إننا نستمتع فى العصر الحاضر بكثير من حرية الكلمة وحرية إعلانها ، وأول أمر أتحدث عنه هو أن الرئيس أعلن شعار الإيمان ، أعلنه غير مرة ، وأعلنه فى خطبه وفى الصحف ، وعرف القاصى والنائى أن الرئيس أعلن شعار الإيمان ، وما من شك فى أن الأغلبية العظمى من أعضاء مجلس الشعب من المؤمنين الصالحين ، ولو عرض عليهم مشروع يتناسق مع شعار الإيمان لبادروا إلى الموافقة عليه .

ومازلت أذكر جلسة مشهورة من جلسات مجلس الشعب ، جلسة جاء فيها عرض قطع يد السارق فتحمس الغالبية العظمى من أعضاء مجلس الشعب لتشريع قطع يد السارق ، وتأزم جو المجلس ولم تنته المسألة إلا بعد أن أخذ الأعضاء وعداً بدراسة الموضوع دراسة مستفيضة وعرضه فى « الرول » إذ إنه ليس معروضاً ، ولم يدرس من قبل .

والصورة التى أريد إعلانها من هذا أن مجلس الشعب مستعد لإقرار شعار الإيمان إذا عُرِض عليه .

وكنت أفهم أن القضاء وزارة وقضاة وأجواء قضاء على اختلافها وتعددها ستبادر بدراسة شعار الإيمان وتعدد القوانين وتقعد القواعد ، ولكن لم يحدث شىء من ذلك وكنت أفهم أن كليات الحقوق فى جميع أرجاء الجمهورية ، أو على الأقل كلية منها ، تبادر فتتخلص من آثار الاستعمار واللادينية التى فرضت عليها عشرين درساً فى الأسبوع فى القوانين الوضعية ودرسين فقط فى الأسبوع فى الشريعة بكل فروعها المتعددة .

إن النظام الذى تسير عليه كليات الحقوق هو نفس النظام الذى فرضه الاستعمار ، وقد زال هذا الاستعمار فكان على هذه الكليات وهى مشهورة بالتحرر أن تتحرر من آثار الاستعمار ، وأن تعيد النظر فى مناهجها وبرامجها ، التى تعلن أن الاستعمار باق يتحدى فى زاوية من أخطر زوايا المجتمع وهى زاوية القضاء والعدالة .

إن الرئيس لا يتسع وقته لمتابعة الجزئيات ، ولكنه يعلن المبادئ العامة ويدع التطبيق والتفصيلات إلى المسئولين عنها ، ولقد وفقه الله فى إعلان دولة العلم والإيمان إلى المنهج الإسلامى الصحيح ، المنهج الذى وضعه الله تعالى للأمة الإسلامية وهذا المنهج هو المنهج الذى قام به رسول الله ﷺ ورسمه لأمته ، إن دور الرسول ﷺ هو أن : (يعلمهم ويزكيهم) .

وهذ هو الشعار الذى أعلن ، أما العلم فإنه يسير فى صورة لا بأس بها ، ولكنه إذا كان يسير فى صورة لا بأس بها من ناحية الثقافة المادية فإنه قاصر كل القصور من ناحية المنهج الإيمانى الذى يمثل الشطر الثانى من دول العلم والإيمان .

والعلم بدون إيمان مدمر مهلك ، ونحن فى أمس الحاجة إلى تلاميذ وطلبة قد أخذوا حظًّا كافياً من شعار الإيمان فى جميع درجات التعليم .

وإن تعجب فعجب أن يأمر الرئيس أحد وزراء التعليم بالعناية بالدين كمًّا وكيفًا فى جميع مراحل التعليم التى تدخل فى دائرته ، وعلى إثر ذلك عقدت اللجان وبدأت اجتماعاتها ، وحضرت أنا بعضها ، واستمرت اللجان تنعقد على فترات طويلة ثم انتهت بلا شىء ، ومازال الأمر على ماهو عليه ، والدراسات الدينية فى جو وزارة التعليم على هامش الحياة .

وكنت أفهم أن وسائل الإعلام حينما تسمع إعلان شعار الإيمان تستجيب له استجابة كاملة ، ولا أحد ينكر أثر وسائل الإعلام ، إنها تصنع الرأى العام ، والرأى العام يصنع كما تصنع الماديات ، ولو استقامت وسائل الإعلام لكانت عاملا من أهم العوامل فى إصلاح المجتمع وتحقيق شعار الإيمان ، ولكن الأغلبية العظمى من وسائل الإعلام سارت وتسير على اللامبالاة بشعار الإيمان . والشيوعيون – وهم متغلغلون فى وسائل الإعلام بحسب منهج مرسوم – وصل بهم الأمر إلى مهاجمة الدين ، فإن الشيوعية نقيض الإيمان والوحى والرسالة على خط مستقيم ، وهى فى وسائل الإعلام لا تسكت عن الإيمان ، وإنما وصل بها الأمر إلى مهاجمته ، وإنه من المعروف أن المنهج الشيوعى يهاجم أولا علماء الدين فى التمثيليات وفى المسرحيات وفى المقالات والكتب ، حتى إذا ما ضعفت شوكة علماء الدين بدءوا يهاجمون الدين نفسه على صور مختلفة تتكيف بالجو وبالبيئة التى يعيشون فيها ، ووصل الأمر بالشيوعيين فى إحدى المجلات أن يشجعوا على الفسق والزنى وكتبوا فى صورة علنية عن آراء سافرة تبرر حرية الفتاة فى أن ترافق وترنى وتفعل الرجس تحت قانون الحرية ، وكأن البلد بلا دين وبلا رقابة خلقية .

وكنت أفهم أن هناك رقابة على هذه الصور التى تعلق فى الشوارع وعلى جدران المنازل مثيرة للغرائز ، داعية إلى أفلام كلها رجس وفسق ، ورقابة على الأفلام المثيرة للشباب الموجهة إليه إلى تحقيق غرائزه بصورة أو بأخرى . وأعود فأقول إن الرئيس وهو يعلن المبدأ العام مبدأ الإيمان لا يتتبع الجزئيات ، وليس هناك قائد اجتماعى يعلن المبادئ ثم يضيع وقته لتتبع الجزئيات فعلى كل فرد وعلى كل مؤسسة أن تستجيب لشعار الإيمان .

أما النتيجة لهذه الاستجابة فهى النصر الذى وعد الله به المؤمنين حيث قال : (وكان حقًّا علينا نصر المؤمنين) .

وإنى إذا كنت أنبه على هذه الأمور فإنى أحب أن أتحدث فى النهاية عن الخطورة التى تترتب على عدم الاستجابة .

لقد انتصرنا على الرغم من كل توقعات المتشائمين ، وصدر الأمر التاريخى العظيم بالعبور وعبرنا بتوفيق الله تعالى وانتصرنا .

وإن دوام هذا النصر موكول بالاستجابة لله تعالى : (إن تنصروا الله ينصركم) والواجب إذن – من أجل دوام النصر – أن يقوم كل منا بدوره فى شعار الإيمان ، والله سبحانه وتعالى يقول : (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز ، الذين إن مكنَّاهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور) .

فى موقف الإسلام من الوحدة العربية

يقول الله تعالى فى سورة آل عمران :

(يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألَّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً) .

فى هذه الآيات الكريمة أمر صريح بالاتحاد وبالاجتماع ، ونهى عن الخلاف والتفرقة ، وقد ورد ذلك أيضا فى الأحاديث الشريفة ، فقد روى الإمام مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال :

« إن الله يرضى لكم ثلاثاً ، ويسخط لكم ثلاثاً : يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم . ويسخط لكم ثلاثاً : قيل وقال وكثرة السؤال ، وإضاعة المال » .

هل يعمل أعداء العرب على التفرقة بينهم ؟

إن أعداء الإسلام يعملون دائماً على إيجاد عوامل التفرقة بين العرب ، وافتعال أسباب للخلاف بينهم ، ومن أقدم ما عرف من ذلك حادثة شاس بن قيس اليهودى التى يرويها التاريخ وترويها كتب السيرة .

لقد مر شاس على نفر من الأوس والخزرج فى مجلس جمعهم فغاظه صلاح ذات بينهم وقال فى نفسه ، قد اجتمع ملأ بنى قيلة فى هذه البلاد ومالنا – إذا اجتمع ملؤهم بها – من قرار وأمر فتى شاباً يهودياً – وكان معهم – أن ينتهز فرصة يذكرهم فيها بيوم بعاث ذلك اليوم الذى انتصر فيه الأوس على الخزرج .

وتكلم الغلام فأنشدهم ما قيل فى ذلك اليوم من أشعار ، فذكر القوم ذلك اليوم ، وتنازعوا وتفاخروا واختصموا ، وقال بعضهم لبعض إن شئتم عدنا إلى مثلها ، وبلغ رسول الله ﷺ ذلك الأمر فخرج إليهم فيمن معه من الأنصار والمهاجرين ، فذكرهم بما ألف الإسلام بين قلوبهم وجعلهم إخواناً متحابين ، وكان مما قال : « أدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ أكرمكم الله بالإسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية » ومازال بهم حتى بكى القوم وعانق بعضهم بعضاً واستغفروا الله جميعاً .

ومن أجل البقاء على وحدة الأمة العربية قوية متينة آخى رسول الله ﷺ بين المؤمنين منذ أن كان بمكة قبل الهجرة ، وآخى بينهم فى المدينة بعد الهجرة ، فقد آخى بين أبى بكر وعمر ، وبين طلحة والزبير ، وبين عبد الرحمن بن عوف وعثمان . . وبين آخرين كثيرين .

وفى مجلس المؤاخاة هذا قال علىّ رضى الله عنه : يا رسول الله إنك آخيت بين أصحابك فمن أخى ؟ قال صلوات الله عليه : « أنا أخوك »

فلما هاجر صلوات الله عليه إلى المدينة ، آخى بين أصحابه من المهاجرين والأنصار قائلا : « تآخوا فى الله أخوين أخوين » .

ولقد كان جعفر بن أبى طالب – ذو الجناحين الطيار فى الجنة – يومئذ غائباً بأرض الحبشة ، ومع ذلك فقد آخى رسول الله ﷺ بينه وبين معاذ بن جبل .

هذه المؤاخاة : إنما هى مجرد رمز لما يجب أن يكون عليه المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها ، يقول الله تعالى : (إنما المؤمنون إخوة) .

فى الإسلام والسيف

الواقع أن هذه المسألة إنما هى فرية مصطنعة ، أثارها أعداء الإسلام دون أن يكون هناك مبرر لإثارتها .

وذلك أن الإسلام بدأ بواحد وهو رسول الله ﷺ ، وفيما بعد قال أحد الصحابة : لقد رأيتنى

وأنا أمثل ثلث الإسلام ثم أخذ الإسلام ينتشر شيئاً فشيئاً بالحجة والبرهان والإقناع ، فعارض انتشاره المشركون بالسيف والتعذيب والتنكيل ، وكان لابد من الدفاع عن النفس ، وهذا الدفاع عن النفس كان يتخذ أحياناً صوراً تحزّ فى النفس وتملؤها إشفاقاً ، كصورة غزوة الخندق التى كان المسلمون يتحصنون فيها من أعدائهم من وراء خندق حفروه يتقون من ورائه أعداءهم وقد أتوا إليهم فى دارهم يريدون أن يقضوا على الإسلام ، فرد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرًا .

والدفاع عن النفس هذا هو الذى عبرت عنه الآية الكريمة القرآنية خير تعبير حين قال تعالى : (أُذِنَ للذين يُقاتلون بأنهم ظُلموا) وفى كل ذلك يقول شاعرنا الكبير أحمد شوقى :

قالوا غزوت ورسل الله ما بعثوا ... لقتل نفس ولا جاءوا لسفك دم
جهل وتضليل أحلام وسفسطة ... فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم
لما دنا الله عفوًا كل ذى حسب ... تكفل السيف بالجهال والعمم
والشر إن تلقه بالخير ضقت به ... ذرعاً وإن تلقه بالشر ينحسم

فى ما يعتقده الكثيرون من أن الفكر الدينى – فى هذا العصر يعانى أزمة عاصفة فى مواجهة التطور المادى

حتى تكون الرؤية واضحة كل الوضوح ينبغى أولا وقبل كل شىء تحديد المقصود بالفكر الدينى ، لأن إطلاق العبارات دون التعرف على مضامينها يوقع فى اللبس فتغم الرؤية ، ولا يستبين المحتوى استبانة يطمئن عليها القلب والفكر .

فإذا كان المقصود بالفكر الدينى المحتوى المتكامل الأبعاد لمبادئ الإسلام ومقرراته فإنه لا توجد أزمة بين هذا المدلول وبين التطور المادى حتى يعانى هذا المحتوى أزمة ما ، ذلك لأن الإسلام دين الله الحق الذى بعث به خاتم المرسلين ﷺ ، والإسلام بوسائل متعددة يدفع إلى التطور والإفادة من معطيات الفكر المتحرك دوماً ونظراً إلى أن الإسلام دين الله الحق فهو يحث على ذلك ويشجع عليه ، لأن التطور على مدار مطافه لا يصطدم بالإسلام أبداً ، ومن ناحية أخرى كلما تقدم التطور فى طريقه أعطى آكد البراهين على حقية محتوى الإسلام ، فلا أزمة إذن بين التطور المادى والإسلام فى محتواه الذاتى .

أما إذا كان المقصود بالفكر الدينى الحالة الفكرية التى لها علاقة وثيقة بالتأثير والتأثر العقدى فإن الأمر يختلف لعوامل ليس من بينها التطور المادى فى ذاته وإنما لملابسات تحيط بهذا التطور ،

وأهم هذه الملابسات الصخب الإلحادى الذى تقوم عليه بعض المجتمعات التى نحّت الدين من طريقها لاعتبارات ليس من غرض الحديث التعرض لها ، بيد أنها فى جملتها وتفصيلها اعتبارات لا تقوم على منطق ولا تتذرع بحجة صحيحة .

ومن بين هذه الملابسات أيضا عجز المعتقدات الدينية فى الغرب عجزاً تامًّا عن إشباع تطلعات العقل والقلب ، الأمر الذى أتاح ويتيح الفرص لسيطرة التطور المادى وتخاذل الفكر الدينى أمامه هناك ، وانزوائه فى غمرة الفراغ الفكرى نتيجة مجانبة الإسلام فى السلوك لدى هذه المجتمعات وتسلُّل الصخب الإلحادى وما تمخض عنه من عجز المعتقدات الدينية فى الغرب إلى بعض الأفكار فى المجتمعات الإسلامية ، فكان لذلك أثره فى الظاهرة التى شاعت بين بعض الأفكار وهى بحمد الله قلة فى مجتمعنا – من أن الفكر الدينى يعانى أزمة فى مواجهة التطور المادى ، وأما الجماهير فإن لهم من حصانة الإسلام فى ذاته وقاية طبيعية من هذه الظاهرة المرضية ، الأمر الذى ينتهى بنا إلى القول بأن المجتمعات الإسلامية فى مجموعها لا تعانى أزمة فى مواجهة التطور المادى ، وإنما تشكو ظاهرة مرضيةبدت لدى البعض ، ويتحتّم علاج هذه الظاهرة ، إذ العدوى ليست فى الأجسام فقط وإنما تتعدى إلى الأفكار والأخلاق .

يلاحظ الكثيرون بعض المظاهر التى توحى بعزلة رجال الدين عن الحياة الاجتماعية والسياسية كما يلاحظون بعض المظاهر السلبية فى العادات والتقاليد والتواكل والاستسلام للواقع فما هو موقف الدين من كل ذلك ؟

هذه الملاحظة فى عمومها الذى وردت به غير مقبولة من الناحية الواقعية بإطلاق ، فالمعروف تاريخيًّا أن علماء الإسلام كانوا على مر العصور يشاركون مشاركة تامة فى أحداث السياسة والاجتماع ، ومن يدرس التاريخ أو يطلع عليه يجد ذلك حقًّا ، بل يجد أنهم كانوا القادة والمحركين وأقرب الأحداث نسبيًّا ماكان من علماء الإسلام أيام الحملة الفرنسية ثم ثورة ١٩١٩ . وهل ينسى الناس أمثال عمر مكرم والشيخ السادات ، وسعد زغلول ؟ أليس هؤلاء ممن خرجهم الأزهر ؟

بل إن علماء الأزهر كانوا درع الشعب الواقية من صلف الحكام وظلمهم ، وهل ينسى أحد مواقف الشيخ أحمد الدردير – رضى الله عنه وأرضاه .

لكن الذى كان فعلا هو أن الاستعمار الإنجليزى عمل بكل جهده على عزل علماء الأزهر عن مجالات التأثير ، وبخاصة فى التدريس فى المدارس الابتدائية والثانوية ، وكان (بطل) هذا العمل هو القس الإنجليزى (دانلوب) الذى عمل بما استطاع من حيلة أن يخنق جهاز الأزهر ويحصره فى نطاق ضيق يحول دون فاعلية التأثير ، وعلى الرغم من كل ذلك استطاع العملاق بفضل الله وعونه أن يظل صامداً فى حلبة التأثير وإن كان قد أصابته خدوش ، فذلك ضرورة من ضرورات المعارك .

وليس أدل على أن علماء الإسلام يشاركون فى الحياة الاجتماعية والسياسية من قيام جبهات غير إسلامية تحاول بمختلف الأساليب أن تنال منهم حتى يخف وزنهم فى قلوب المواطنين ، الأمر الذى يتبعه حتماً فقدان التأثير .

وليس من اللازم فى توصيف المشاركة أن يوكل إلى المشارك عمل اجتماعى أو سياسى بعينه ، وإنما المشاركة فى معناها الأصيل فهم الواقع ، والتأثير بأى أسلوب من أساليبه .

أما عن المظاهر السلبية فى العادات والتقاليد فإن الإسلام لا يقرها ، ذلك أنه يدعو إلى استغلال الطاقة فى العمل النافع الذى يرفع من شأن الإنسان فى دنياه ، ويتزله أكرم منزل فى أخراه ، فالتواكل لا يرضاه الإسلام ، وينبغى أن يعنى الدعاة بتوضيح المفاهيم الإسلامية توضيحاً لا يترك فى النفوس رواسب حتى يتضح الفرق بين التوكل والتواكل مثلا ، فالتوكل على الله مفهومه أن يقدم الإنسان إلى العمل بطاقته راجياً من الله المعونة والتوفيق ، فهذا وضع إيجابى ينبغى أن يكون فى صحبته كل مسلم ، إذ يدفع الطاقة ويزيد من فاعليتها .

أما التواكل فإنه يعنى القعود وتفريغ الطاقة فى غير وجهة ، وهذا لا يقبله الإسلام وإنما يرفضه رفضاً قاطعاً ، وقول الرسول ﷺ « اعقلها وتوكل » صريح فى وجوب بذل الطاقة ، وقول عمر رضى الله عنه : « لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق وهو يعلم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة » . منبثق انبثاقاً طبيعياً من تعاليم الإسلام .

كيف يمكن الأزهر أن يستعيد دوره فى ازدهار الفكر الدينى وتغذيته الجماهير بالقيم الدينية ؟

إن دورالأزهر فى ازدهار الفكر الدينى مرتبط ارتباطاً نوعياً بأجهزة الإعلام المتعددة فى الدولة ، كما أنه مرتبط بنوعيات بعض القوانين الموجودة .

فبعض أجهزة الإعلام تقدم فيما تقدم من مواد سواء على الشاشة الصغيرة أو الكبيرة ما من .

شأنه أن يحول دون التأثير لما يقوم به الأزهر ، وبعض الكتب أيضاً وبعض المجلات تتخذ هذا الاتجاه ، وبخاصة أن الوسائل كلها تتخذ من الإغراء وسيلة تجتذب بها الأفكار .

وبعض القوانين الموجودة التى تتراخى مع بعض المنكرات المؤثرة كثيراً لها أثرها على السلوك وتعتبر عاملا سلبيًّا فى حركة التأثير ، لذا يتحتم التخطيط لأجهزة الاعلام ، وبخاصة السينما والمسرح تخطيطاً يقوم على عدم التهاون فى المواد التى تقدم للجماهير ترويرا على مايسمى بالفن وماشاكل ذلك من سمعيات تلوكها ألسنة كثيرة بوعى هابط حيناً وبعدم وعى حيناً آخر فيجب ألا يقدم إلا النافع فعلا ، وما من شأنه أن يسمو بالدوافع الفطرية للإنسان ، كما يتحتم النظر فى جميع القوانين التى تتراخى مع المنكرات التى لا يقرها الإسلام وحدود الإسلام واضحة « والحلال بين والحرام بيِّن » كما يقول رسول الله ﷺ .

هذا إذا أردنا لمجتمعنا الخير والعزة ، ولاشك فى أن الحريصين على مستقبل المجتمع يعملون لتحقيق ذلك .

كيف بدأت الدراسات الدينية والعلمية فى الجامع الأزهر

ينبغى أن يكون معروفاً أن عقد الدراسات الدينية والعلمية فى الجامع الأزهر عام ٣٧٨ هـ لم يكن بدعة اختص بها هذا المسجد الكبير ، وإنما سار فيها على سنة الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، الذى يجعل من مسجده مركزًا للقيادة والتوجيه والتعليم ، إلى جانب كونه مكاناً للعبادة والتهجد والاعتكاف ، وكذلك كانت المساجد من بعض مسجد الرسول الكريم .

وقد سبق جامع الأزهر إلى ذلك فى مصر مسجد سيدنا عمرو بن العاص الذى بنى عام ٢١ هـ وكان مركزاً للإشعاع الثقافى والعلمى ، ولما سار الأزهر على هذا المنوال رصد له الخلفاء والولاة الأموال ، وأوقفوا عليه الأوقاف للإنفاق منها على الطلبة والعلماء ، وقد تأكد مركز الأزهر كجامعة إسلامية عندما جعل منه صلاح الدين الأيوبى معقداً لآمال العلماء والدارسين فى جميع أنحاء العالم الإسلامى ، واستمر الأزهر فى تأدية رسالته الإسلامية الكبرى قائماً على حفظ الإسلام حتى يظل صحيحاً كما أنزله الله وكما بلغه رسوله ، والدفاع عنه حتى لا يدخل إليه ما ليس منه فتتبدل أحكامه ، أو تطمس معالمه ، والتمكين له حتى تستقر تعاليمه فى العقول فتصبح ثقافة ومعرفة وإيماناً ، ثم تتمثلها النفوس فتصير عرفاً وسلوكاً وأخلاقاً .

وبهذا صار الأزهر مركزاً لإشعاع الفكر الإسلامى ولتوثيق الروابط بين المسلمين فى جميع أنحاء العالم .

هل كان للأزهر أثره فى الأوضاع السياسية والاجتماعية فى تاريخه المجيد ؟

نعم ، ولقد كان ذلك نتيجة طبيعية لقيام علماء الأزهر بواجبهم الذى يحتمه عليهم الإسلام باعتباره الدين الذى يصل بين الدنيا والآخرة ، ويربط برباط وثيق بين العقيدة والأخلاق ، وبين العقيدة والسياسة ، وبين العقيدة والعلم ، كما ساعد على قيام العلماء بهذا الواجب ثقة المسلمين فيهم ، وفى إخلاصهم لله ، وساعد على ذلك إيمان القادة بدينهم ، وبأن هذا الدين هو الصراط المستقيم ، الذى يحقق لهم غايتهم فى إصلاح أحوال الشعب . والأزهريون ، فى تاريخهم الطويل لم يبعدوا عن الجهاد فى أداء رسالتهم أو يتخلفوا عن النهوض بواجباتهم .

فظلت راية الجهاد عالية فوق رءوسهم جيلا بعد جيل ، فعزَّبهم الإسلام وسار بهم فى العالم مسرى النور فى الظلام ، وبقيت الشريعة الإسلامية والثقافة الربانية تصدر عن الأزهر إلى جميع بقاع الأرض فتعلم الجاهلين وتهدى المدلجين وتوضح للناس فضل الإسلام عليهم وعلى الحياة معًا .

وشارك علماؤه فى الحياة العامة مشاركة احتلوا بها مكان الصدارة فى كل حركة وكل كفاح ضد المستعمرين وأعداء الدين .

وإذا رجعنا إلى التاريخ القريب ، وجدنا كيف لجأت الجماهير إلى الشيخ أحمد الدردير رضى الله عنه لرفع الظلم عنهم ، فأمر بإعلان الثورة ، والبدء فى الاستعداد للقتال ضد المماليك الذين يعسفون بالرعية ظلمًا ونهبًا وإفسادًا ، كذلك لجأت الجماهير إلى الشيخ عبد الله الشرقاوى ، فعقد اجتماعًا حضره العلماء أصدروا فيه قرارهم بإغلاق الحوانيت والأسواق والاستعداد للقتال ضد ظلم الحاكمين ، وكان الأزهر مركز القيادة الشعبية فى الثورة ضد الحملة الفرنسية ، مما عرضه للضرب بالقذائف المدمرة وسقوط أبنائه وعلمائه ضحايا ، وامتدت قيادة الأزهر السياسية للشعب إلى العصر الحديث عندما بدأت ثورة عرابى على الحكام ، وأصدر علماء الأزهر فى ذلك الوقت فتواهم الشرعية بخروج الخديوى على أحكام الدين ، وبخيانته للأمة وتواطئه مع أعداء الإسلام . .

وأدى ذلك إلى أن حركة العلماء عندما فشلت الثورة كما حوكم زعماؤها وكان للأزهر أيضًا دوره القيادى المعروف فى ثورة ١٩١٩ .

ماهو وضع الأزهر الآن فى عصر الثورة العلمية الحديثة ؟

لاشك أن الأزهر وهو الأمين على رسالة الإسلام يؤيد بكل فروعه وإمكاناته التقدم العلمى الحديث الذى يستهدف خير البشرية وسعادتها ، وهو يتابع مظاهر هذا التقدم ويؤصله فى دراساته الجامعية ويضيف إليه من هدى الإسلام ونوره ، وتفد إليه للإفادة من دراساته وبحوثه وفود الطلاب فى جميع أنحاء العالم ، كما تفد إليه الرسائل والبحوث والاستفسارات ليجيب عليها ويضعها موضع العناية والاعتبار ، كذلك يرسل الأزهر علماءه وطلابه وبحوثه إلى المراكز العلمية فى الخارج ، وفى جامعات مصر والجامعات العربية والمدارس العربية والإسلامية يحتل العلماء الأزهريون أماكنهم ويحاضرون ويؤدون واجبهم العلمى والثقافى والاجتماعى .

هل هناك أجهزة فى الأزهر تهتم بمتابعة التيارات الإعلامية والثقافية ؟

لعلك تعلم أن مجمع البحوث الإسلامية هو إحدى هيئات الأزهر الرئيسية وهو يقوم بأقسامه المختلفة بمتابعة ماينشر عن الإسلام من كتب ونشرات ويبدى علماؤه آراءهم فيما ينشر أو يذاع أو يشاهد من وسائل الإعلام – كما يقوم بتبصير المسلمين بواجبهم فى هذه المجالات عن طريق ماينشره من مجلة الأزهر والمطبوعات التى يصدرها بصفة دورية .

فى أثر مناهج الفكر الأزهرى فى الفكر الإسلامى والعالمى

الفكر الأزهرى هو جزء من الفكر الإسلامى ، ومن ثم فتأثيره فى الفكر المحلى أو العالمى مظهر من مظاهر تأثير الفكر الإسلامى ككل ، ولاشك أن عناية الأزهر بالدراسات العربية والإسلامية قديماً وحديثًا جعلت للفكر الأزهرى مكانة كبرى وسمعة وطيدة لدى مختلف الهيئات العلمية فى المجالات العربية والإسلامية والعالمية ونحن نلمس اهتمامهم بمعرفة رأى الأزهر فى المشكلات العلمية والحيوية المعاصرة وذلك مانتبادله مع هذه الجهات من رسائل ومكاتبات .

فى اللغة العربية

إن اللغة العربية ليست لغة وطنية فحسب وليست لغة قومية فقط ، ولئن كانت كذلك قبل الإسلام فهى بعد نزول القرآن بلسان عربى مبين ، أصبحت تمتاز بخاصية أخرى ، وهى أنها أصبحت لغة دينية على كل مسلم أن يتعلمها إذا أراد الدقة الدينية فى دينه ، والصحة الصحيحة ، لإسلامه .

وكونها أصبحت بعد نزول الإسلام لغة دينية فإن ذلك لم يخرجها عن وضعها الأصلى وهو أنها لغة قومية ، ودول وأقاليم عربية ، فهى بالنسبة لهم أصلية ولغة دينية ، وبالنسبة لغيرهم لغة دينية ، وهى على كل حال بالنسبة لهؤلاء وهؤلاء لغة مقدسة . ومامن شك فى أن الإسلام لايشجع على ترجمة معانى القرآن ، وذلك لأسباب واضحة ، منها : أن ترجمة القرآن إنما هى مجرد تعبير عن فهم المترجم فهى لاتعبِّر عما أراده الله سبحانه ، وإنما تعبر عن زاوية ضئيلة مما أراده الله سبحانه ، وقد يكون فهم المترجم مجرد خطأ وهو على كل حال قاصر عن استيفاء جميع ما أراده الله سبحانه .

والإسلام لايشجع أيضًا على الترجمة حتى لايكون فى ذلك الاستغناء بها عن تعلّم اللغة العربية ، مع أن تعلم اللغة العربية فى النظرة الإسلامية من أهم الأمور ، وذلك أنه كما يربط الدين بين شعوب لايربطهم جنس واحد فإنه مما يقوى هذه الرابطة أن تكون هذه الشعوب متفاهمة بلغة واحدة ، ومن أجل الدين ومن أجل قوة الترابط بين الشعوب التى تدين به يجب تعلّم اللغة العربية ، ويجب فضلا عن ذلك الاحتفاظ بها عن أن تلوثها العامية على أى وضع من أوضاع التلوث ، أى يجب الاحتفاظ بها عربية قرآنية صافية نقية .

ولكل ذلك فإن ترجمة القرآن بالنسبة للمسلمين لاتُعَدّ قرآنًا ، ويجب على المسلم أن يحفظ من القرآن قليلا أوكثيرًا بحسب استطاعته ، ويحاول فهمه بحسب إمكانياته ، وإن فى قول الله تعالى : (ماتيسر) سعة لكل مستجيب لنداء الله ورسوله والاستجابة إنما تكون بحفظ وتكرار ماتيسر من القرآن بلسانه العربى المبين ونقول فى ختام هذا فى صراحة لالبس فيها ، وفى وضوح لاغموض فيه أن كل من يستطيع من المسلمين تعلّم اللغة العربية ، ولم يتعلمها فهو آثم دينيًّا ، ونقول فضلا عن هذا إن كل من يستطيع أن يزداد تمكنًا من اللغة العربية فى أسلوبها ومعانيها من العرب أنفسهم فلم

يفعل آثم دينيًّا ، ونقول فى النهاية ، إن كل دعوة إلى العامية فى الأجواء الإسلامية إنما هى إلحاد فى دين الله ، وإلحاد فى حق الوطن الإسلامى .

فى أهمية هبوط الإنسان على سطح القمر

هذه مسألة تعتبر فى الجو الإسلامى اكتشافًا لنواميس الله فى كونه ، وهى من المسائل العلمية التى يحث الإسلام على الوصول إليها ، وحبذا أن يغزو الإنسان الفضاء وأن يكتشف مافيه ، وأن يغزو الكواكب .

وقد قال الله تعالى : (يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لاتنفذون إلا بسلطان) .

وغزو الفضاء مسألة من المسائل التى يحث عليها الإسلام ولاتتعارض مع تعاليمه .

فى التعريف بالعلاقة بين القمر والمسلمين والرؤية بشأن هذه العلاقة فى المستقبل

القرآن يقص عن سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنه حينما رأى القمر بازغًا : قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين ، ومعنى هذا الكلام أن من صفات الله أن لايغيب . والقمر يعتبره المسلمون كائنًا من الكائنات التى خلقها الله سبحانه وتعالى ، وأنه فى الوضع الإسلامى علامة لمعرفة الشهر العربى ، قال تعالى : (ويسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج) ، وليس له وضع أكثر من ذلك فى العرف الإسلامى ، وقد قال الرسول ﷺ : « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لاينخسفان لموت أحد ولالحياته » .

فى بعض الناس يرى وجود حالة من الفقر فى العالم المعاصر ومن ناحية أخرى فإن التخطيط لصناعة سفن الفضاء يحتاج لكثير من الأموال ، ومثل هذه الأموال يجب أن تنفق فى سبيل الاحتياجات الأساسية للبشرية

إن الدول التى تنفق الكثير من المبالغ فى غزو الفضاء دول غنية لايؤثر فيها إنفاق هذه المبالغ . على أن الحروب هى التى تستنفد المبالغ الهائلة ، وهى التى تعمم الفقر فى الدول .

أما غزو الفضاء فإنه كشف للمجهول فى الكون ، ولابد للإنسان من الوصول إلى ذلك مهما أنفق فى سبيله من مال .

فى موضوع ملكية القمر

القمر ليس ملكًا لأحد ، وإذا كان هناك مايمكن أن ينتفع به فيما يتعلق بأرض القمر فيجب أن يخصص هذا عن طريق اتفاقاتٍ دولية لإزالة الفقر والمرض والجهل من الإنسانية وأن لايكون القمر ملكًا لدولة معينة .

أى نوع من الفائدة يمكن توقعها عن طريق هبوط الإنسان على سطح القمر؟

الفائدة من هبوط الإنسان على سطح القمر ازدياد معرفته بالكون ، وهذه أسمى مايمكن أن يكون من ثمرة هبوط الإنسان على القمر ، لقد اعتقد القدماء أنه كائن مقدس ، ومع أن الإسلام لم يؤمن بذلك يومًا فإن معرفة القمر على حقيقته مسألة نتطلع إليها جميعًا ، وهذه المعرفة غاية فى نفسها . . . .

كم من أقطار الأرض الإسلامية يحكمون بما أنزل الله على محمد ﷺ فى زماننا هذا؟

إن الاستعمار الذى جثم على صدر الأمم الإسلامية بذل جهده لمنعها عن العمل بالإسلام .

بل لقد فرض عليها قوانين من الغرب ومن أمريكا ، وكان من فضل الله تعالى أن خلت البقعة التى كانت مهد الإسلام من الاستعمار ومن فرض قوانين أجنبية ، فاستمرت تتعامل بالقانون الإسلامى . بيد أن الأمم الإسلامية وقد تحرر أكثرها من الاستعمار قد بدأت تتجه نحو تشريع إسلامى ، وبدأت تقنن الشريعة الإسلامية كما تفعل مصر الآن ، والله نرجو أن يكتب لنا النجاح والنصر .

فى الإسلام والشيوعية

إن منهج الشيوعيين بالنسبة لضرب الإسلام أصبح معروفًا لدى المعنيين بصلة الإسلام بالشيوعية .

والخطوة الأولى فيه هى مهاجمة علماء الدين ، مهاجمتهم بشتى الوسائل ، بالكلمة والنكتة والمسرحية والتمثيلية ، مهاجمتهم بالافتراء عليهم ، وتلفيق التهم ضدهم ، والكذب يلبسونه صورة الصدق ، وهم يرون أن كل ذلك لايجدى إذا لم يكن هناك تكرار باستمرار ، فالتكرار للفكرة يجعلها تستقر فى الشعوب ، ويجعل الجمهور يسير فى التيار ويألف ذلك ، فلا يستثيره النَّيل من علماء الدين .

والشيوعيون فى سبيل تحقيق هذه الدعوة والخطوات التى تتلوها يحاولون دائماً وفى كل قطر أن يتغلغلوا فى وسائل الإعلام شيئًا فشيئًا ويصبحون أكثرية فيها ، أو على الأقل يصبحون من كبار الموجهين فيها ، إن منهجهم أن يستولوا على تصرف الأمور حسبما يحبون فى الإذاعة والتليفزيون والصحافة والمسارح والسينما ، وهم يسخِّرون كل ذلك فى تخطيط دقيق ليسير الوضع حسبما يشتهون .

فإذا نجحوا فى هذه الخطوة ولو بعض النجاح فإنهم يبدءون الخطوة التالية وقد تتداخل الخطوتان ولكنهم يبدءون دائماً بالهجوم على علماء الدين .

أما الخطوة الثانية : فإنها مهاجمة الدين فى فروعه وفى تاريخه ومن لهم القداسة من رجاله الأوائل ، ومن هنا كانت الحملة مثلا على سيدنا عبد الرحمن بن عوف بل على سيدنا عثمان وهما من المبشرين بالجنة ، وثانيهما اختاره المسلمون خليفة لهم ، وعنه يقول رسول الله ﷺ : « اللهم ارض عن عثمان فإنى عنه راض » .

ويقول صلوات الله وسلامه عليه حينما جهز عثمان رضى الله عنه جيش العسرة من ماله الخاص . . يقول « ماعلى عثمان مافعل بعد اليوم » .

عثمان الذى من أجله كانت بيعة الرضوان حينما أشيع أن المشركين قتلوه ، وإذا صفا لهم الجو ولم يجدوا معارضًا يصل بهم التهور إلى حد التهجم على آل البيت .

وإذا وجدوا أن الأمور تسير على هواهم بدءوا الخطوة الثالثة وهى : مهاجمة الدين فى عقيدته وأركانه فينكرون وجود الله ، وينكرون الرسالات – كل الرسالات – وينكرون البعث والقيامة .

وقد وصلوا فى بعض البلاد الإسلامية إلى هذه المرحلة الثالثة ، وسخروا بالإيمان ، وأعلنوا الكفر ، ولكنهم هنا فى مصر وصلت بهم الجرأة إلى المرحلة الأولى والمرحلة الثانية ، وفى المرحلة الأولى وصل بهم الأمر إلى مهاجمة علماء الدين فى شيوخهم .

وهم بذلك يؤمنون أن المرحلة الأولى قد انتهوا منها ، ولكن الله أخلف ظنهم فمهاجمة شيخ الأزهر جزء من مخططهم ، وعلى الأمة أن تتنبه لذلك ، وأن تتخذ لكل خطوة مايلائم وضعها

موضع الإخفاق التام .. (كيف تفسرون أن عدد مسلمى الاتحاد السوفيتى يقترب من ٦٠ مليونًا فى حين لايحج منهم فى العام أكثر من عشرة أشخاص على أحسن تقدير ؟) .

فى عدة سنوات ، مر الحجاج السوفييت بالأزهر ، وقابلتهم فى كل مرة مروا بالقاهرة ، إنهم فى كل مرة ماكانوا يزيدون عن العشرة إلاّ قليلا ، والمرة الوحيدة التى كانوا فيها من الكثرة بمكان كانوا تسعة عشر ، ولم تتكرر ...

وفى كل مرة سألتهم : ليس من المعقول أن يكون بروسيا هذا العدد الكثير من المسلمين ولايحج منها إلاّ هذا العدد الضئيل الذى لاتتجاوز نسبته واحدًا على خمسة ملايين . .

فإذا بشفاههم ترتجف ، وإذا بوجوههم تعلوها الصفرة ، ويتطلع كل منهم إلى الآخر فى نوع من الفزع ، وذلك لأن ماقلته يعتبر نقدًا ، وإذا ماسكتوا عليه فإنهم يسألون ، ويكون هناك تحقيق يعقبه ما الله به عليم ، وإذا أجابوا فماذا يجيبون !

ووقعوا فى حيرة أسفت لها ، وأردت إخراجهم منها فقلت لهم : إن شاء الله يكون العدد فى العام القادم كثيرًا . . . وتنفسوا الصعداء .

وتتساءل : لماذا هذه القلة ؟ والسبب معروف ، وجو هذا الموقف العدائى من الشيوعية للدين ، وماذا تريد ممن لادين له أن يفعل غير ذلك .

إن هذه القلة هى الوضع الطبيعى أما غير ذلك فهو الشذوذ .

فتوى عن الشيوعية

لقد بدأ الكفر بالدين مع (ماركس) منذ ابتداء الشيوعية ، فقد قال (ماركس) كلمته المشهورة : « إن الدين أفيون الشعوب » ولقد تلقف (لينين) هذه الكلمة (لكارل ماركس) وأعلن أن هذه الكلمة هى حجر الزاوية فى الفلسفة الماركسية فيما يتعلق بالدين ، إنه يقول حرفيًّا : قال كارل ماركس : إن الدين أفيون الشعوب الفقراء ، وهذا هو حجر الزاوية فى الفلسفة الماركسية جميعها من ناحية الدين ، وتعد الماركسية الديانات جميعها والكنائس وكل أنواع المنظمات الدينية آلة لرد الفعل البرجوازى وفى المقدمة التى كتبت لكتاب (لينين) مايلى نصًّا :

« الإلحاد جزء طبيعى من الماركسية لاينفصل عنها » ونتابع أقوال الشيوعيين عن الدين ، يقول (لونا شارميكى) الذى كان يومًا وزيرًا للتعليم فى حكومة الشيوعيين :

« نحن نكره المسيحية والمسيحيين ، وحتى أحسن المسيحيين خلقًا نعده شرَّ أعدائنا ، وهم

يبشرون بحب الجيران ، والعطف والرحمة ، وهذا يخالف مبادئنا ، والحب المسيحى عقبة فى سبيل تقدم الثورة ، فليسقط حبنا لجيراننا ، فإن مانريده هو الكراهية والعداوة .

وحين ذالك نستطيع غزو العالم » إن تبشير المسيحية أو – بتعبير آخر – تبشير الأديان بحب الجيران والعطف والرحمة يثير الكراهية فى نفس الشيوعى .

إذ إنه لايعرف إلا الحقد والكراهية والعداوة ، وبهذه الكراهية والعداوة يستطيع – فيما يزعم – غزو العالم .

والزعيم الشيوعى لينين يعلن فى وضوح سافر عن الصلة بين الدين والشيوعية بكلمات قليلة حاسمة ، إنه يقول : « الماركسية هى المادية : ومن ثم معادية للدين » . أما البرنامج الذى وضع للمؤتمر الدولى الشيوعى السادس الذى عقد فى عام ١٩٢٨ فإنه يقول حرفيًا : « إن الحرب ضد الدين وهو أفيون الشعوب تشغل مكانًا هامًا بين أعمال الثورة الثقافية ، ويلزم أن تستمر هذه الحرب بإصرار وبطريقة منظمة » .

ولايكاد لينين يمل الحديث عن الأديان ووجوب تحطيمها ، إنه يتحدث عنها بمناسبة وبدون مناسبة .

ولقد كتب فى يوم خطابًا للكاتب الروسى (مكسيم جوركى) يقول فيه :

« إن البحث عن الله لافائدة فيه . . ومن العبث البحث عن شىء لم تضعه فى مكان تخبئه فيه ، وبدون أن تزرع لاتستطيع أن تحصد ، وليس لك إله ، لأنك لم تزرعه بعد ، والآلهة لايبحث عنها وإنما تزرع ، يخلقها البشر يلدها المجتمع » .

ومما سبق نرى أن الشيوعية فى العقيدة معارضة للإسلام .

وهى فى الأخلاق معارضة للإسلام . وهى فى الاقتصاد معارضة للإسلام . وهى فى كل هذه المعارضات ، منكرة متعمدة ، بل سافرة مستهزئة . فهى إذن ملحدة ، لايشكون هم فى ذلك ، ولايشك فيه غيرهم ، والواقع يكذب كل مماراة لهم ، وهم فى موقفهم أشد انحرافًا عن الإسلام من المشركين .

ولقد بين الله الأحكام بالنسبة للملحدين والمشركين من هذه الأحكام ، فالأحكام الخاصة بالزواج : مثلا :

يقول تعالى : (ولاتَنكحوا المشركات حتى يُؤمنَّ ، ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ، ولاتُنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ، ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم ، أولئك يدعون إلى النار ، والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون . .) .

فالمسلمة إذن لاتحل لشيوعى – فإذا كان اعتنق الشيوعية بعد الزواج ، فإنها تصبح محرمة عليه .

والمسلم لاتحل له الشيوعية : فإذا كانت اعتنقت الشيوعية بعد الزواج فقد أصبحت محرمة عليه .

وإذا مات الشيوعى أو الشيوعية فإنه لا يُصلى عليه . ولا يدُفن فى مقابر المسلمين ، ولا يرثه وارث مسلم ، ولا يرث هو من الأقارب المسلمين .

وإذا تاب الشيوعى فإن باب التوبة مفتوح ، والله يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل . (ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم) . .

فى طريق الفلاح حتى يتبعه من يرد الله به خيرًا

يقول الله تعالى : (يأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون) والركوع والسجود علامتا الخضوع لله سبحانه ، والتواضع له ، إنهما العلامتان الظاهرتان ويجب أن تصحبهما علامة باطنية هى خضوع القلب أو سجود القلب ، وسجود القلب ، ظاهرة يجرى وراء تحقيقها الصالحون باعتباره غاية سامية فى أعراف المتقين ، وأن التعبير الجارى الذى يقول : من تواضع لله رفعه إنما يعنى على الخصوص هذا الذى تواضع لله سبحانه بقلبه وهو يجارى قوله ﷺ ، فيما رواه الإمام مسلم ، عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « عليك بكثرة السجود ، فإنك لن تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة » وقال تعالى : (واسجد واقترب) .

أى تواضع لله سبحانه واخشع له واخضع ، فإن ذلك وسيلة القرب منه سبحانه ، والقرب من الله هو منتهى الرفعة للإنسان . ويقول رسول الله ﷺ : « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد » .

وينصح رسول الله ﷺ أن يدعو الإنسان ربه وهو فى هذه الدرجة من القرب قائلا : « فادعوا فى سجودكم فقمن أن يستجاب لكم » .

والسجود الذى يريده الله ورسوله هو على الخصوص العميق فى النفس ، والذى يتمثل فيه الشعور القلبى والروحى بجلال الله وعظمته ، والذى تصوره هذه الشارة المعروفة من وضع الجبهة على الأرض ، تمثل الخضوع لجلال الله وعظمته ، والانقياد المطلق لحكمته الرحيمة وعظمته

الحكيمة ووده القريب ، وتقربه ممن تقرب إليه .

ومن الأحاديث ذات المغزى العميق فى هذا ما رواه الإمام مسلم عن أبى فراس الأسلمى خادم رسول الله ﷺ ، ومن أهل الصفّة رضى الله عنه قال : كنت أبيت مع رسول الله ﷺ ، فآتيه بوضوئه وحاجته ، فقال : « سلنى » .

فقلت : أسألك مرافقتك فى الجنة .

فقال : أو غير ذلك .

فقلت : هو ذاك :

قال : أعنى على نفسك بكثرة السجود .

والسجود إذن تعبير عن التضامن لله سبحانه ، وعن الخشية والخضوع وهو من أجل ذلك سبيل إلى الجنة ، فمادام الإنسان يخشى الله فإنه يقوم بالواجبات والفروض وينتهى عما نهى الله عنه ، وتلك هى العبادة ، وهى التقوى ، وذلك هو معنى العبودية التى أمر الله سبحانه وتعالى بها كثيراً فى القرآن وأمر بها فى الآية التى نحن بصددها فقال : (واعبدوا ربكم) .

وإذا ما خشى الإنسان ربه فإنه لا محالة فاعل للخير ، وذلك أن التزام أوامر الله واجتناب نواهيه هو الخير كل الخير .

فإذا ما حقق الإنسان السجود لله بمعناه الصحيح – مقدماته ونتائجه – فقد حقق سلوك طريق الفلاح فى الدنيا ، وسلوك طريق الفلاح فيما يتعلق بالآخرة .

أما فى الدنيا فإن الله سبحانه قد تكفل بمن سجد له متمثلا العبودية . يقول سبحانه : (أليس الله بكاف عبده) .

ويقول : (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ، ويرزقه من حيث لا يحتسب ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه) .

ويقول تعالى فى عموم وشمول عن الذين آمنوا وكانوا يتقون : (ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون ، لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم) .

فى حرية الصحافة وأدب الجنس

الصحافة حرة فى حدود القانون ، وهى حرة فى حدود الدستور ، ولكنها من قبل ذلك وبعده حرة فى حدود الإسلام ، ثم هى من قبل ذلك ومن بعده حرة فى حدود الأخلاق .

على أن القانون والدستور قائمان على أن دين الدولة الإسلام ، وعلى أن الخُلق أساس المجتمع ، وعلى أن كل تيار يهوى بأفراد المجتمع نحو الشذوذ والانحراف إنما هو تيار آثم . نقول ذلك بمناسبة الحديث عن حرية الصحافة والحديث عن أدب الجنس .

ومما لا شك فيه أن أدب الجنس لا يرتبط بالخلق الكريم إلا بالرباط العكسى ، وأن الرجل الكريم على نفسه وعلى الله ، لا ينحدر إلى هذا المستوى المكشوف الذى لا يتمثل فيه السمو الروحى وإنما تتمثل فيه الغريزة الشهوانية الجنسية فى أحط مظهر يمكن أن تظهر فيه .

وهذا الأدب الجنسى يجد رواجاً لدى المراهقين ، وهذا الرواج معناه ثورة طائلة للمؤلف ، ومن أجل ذلك ، من أجل المال المكتسب بطريق خبيث ، يكتب الكتّاب المنحرفون عن أدب الجنس ، وهؤلاء الكتاب لا يعرفون المثل العليا ، ولا المبادئ الشريفة ، وإنما همهم – كل همهم – المال من أجل اللذات ومن أجل الجنس ، أما الوطن ومصلحته وأما إفسادهم المراهقين ونشرهم الفساد متأثرين بأدب الجنس . . فذلك لا يثير ضميرهم المنحل فى كثير ولا قليل .

ولقد سارت فرنسا فى هذا الاتجاه بعد الحرب العالمية الأولى ، فكانت النتيجة أن دمرتها ألمانيا فى أيام معدودة ، ولقد أعلن زعيمها المرشال بيتان إذ ذاك السبب فى انهيارها فلم يكن إلا انتشار أدب الجنس ، والسير وراء كتّاب أدب الجنس لتحقيق مثلهم السافلة .

هؤلاء الكتاب مثلهم فى الوطن كمثل الميكروب الخبيث ، بل إن خطرهم أشد ، وكما تحارب الدولة الميكروب فتقضى عليه بالوسائل المناسبة فكذلك الأمر بالنسبة لهؤلاء الكتّاب الذين تتمثل فيهم العداوة الكاملة للفضيلة وبالتالى للوطن .

ولا يجوز أبدًا أن تتخذ حرية الصحافة دعامة ليقول الكاتب ما يشاء ، فإن مقدسات الأمة إذا هدمت بالأقلام الخبيثة فإن مصير الأمة إلى الانهيار .

وعلى هذا يجب – فى منطق الأخلاق والوطن ، ولمصلحة الأخلاق والوطن – أن تضرب الدولة بيد من حديد على كل من يعيث فساداً فى مقدساتها ، وأخلاقاً ودينا ، مسمياً الدعوة

السافرة إلى الانحلال أدبًا ، وما هى إلا انعكاسات نفس ضحلة ظهرت على قلم كاتب لا يمت إلى الفضيلة بصلة .

ورجاؤنا إذن ، حفاظاً على الدين والأخلاق والوطن ، وإنقاذاً للمراهقين ، أن تتكون فى الدولة رقابة خاصة بالكتب والصحف ووسائل الإعلام تراعى المثل العليا والمبادئ الشريفة .

على مر السنين كان الأزهر يقصر دوره على ميدان المسلم فهل من جديد عن الميدان الآخر ، ميدان المرأة المسلمة ، التى تعتبر النبع القويم لتأصيل القيم الدينية والروحية فى نفوس النشء ؟

الأزهر حصن الثقافة الإسلامية ، وتراثها الأصيل فى شتى جوانب الفكر والحفيظ على القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، والقيم على حفظ وعائها ، وهو اللغة العربية ، وبذلك التقت العروبة والإسلام ، فى محيط الثقافة التى أفاضها القرآن وامتزجتا ، وصارتا وحدة لا انفكاك فيها .

وبقى الأزهر على مر الدهور مركزاً حصيناً لصيانة هذا التراث بفضل ما بذلت مصر فى سبيل الحفاظ عليه والحمد لله .

وقد أمّت أمم شتى – ممثلة فى صفوة من بنيها – الأزهر الشريف ، فانتهلوا من معينه ، وتفيئوا ظلاله ، وعادوا إلى بلادهم بعد ربهم داعين قومهم إلى الله على هدى وبصيرة .

على أن الأزهر لم يقتصر دوره على المسلم فقط ، بل له دوره الفعال بالنسبة للمرأة المسلمة أيضًا فكلية البنات الإسلامية تابعة له ، ومن مميزات هذه الكلية أنها لا اختلاط فيها ، وفيها تنبيهات على ضرورة الالتزام بالزى الإسلامى ، ليكون قدوة . .

وللكلية قيادة حازمة ورشيدة ، وقد اتسعت هذه الكلية الآن ، وتمدها روافد من المعاهد التى توسعنا فيها للبنات ، لتكون روافد طيبة لهذه الكلية .

وقد أقبلت عليها وافدات من البلاد الإسلامية بشكل كبير ، نظرًا لعدم الاختلاط ولتدريس المناهج الإسلامية ، حتى فى الكليات العملية . .

متى نحصل على رجل دين بالمعنى الحق ؟
وهل يمكن أن يكون الأزهر بمعاهده المختلفة
ودراساته الدينية (فقط) سبيلنا إلى هذا ؟
أو أن الأمر يحتاج إلى روافد أخرى ؟

ليس فى الإسلام رجل دين بالمعنى المفهوم ، فكل مؤمن مكلف بالدعوة إلى الله (كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) . وإنْ دعت الضرورة إلى التخصص فى طلب العلم ، وإتقان أساليب الدعوة وعلومها ، نظرًا لما جدّ ويجدّ من تشابك وتباين فى مصالح الناس وحياتهم اليومية : (فلولا نَفَر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) .

على أنه يشترط فى الداعى قبل كل شىء : الإخلاص لله ، وأن يجعل من نفسه قدوة ، وأن يتسلح بعلوم العصر ، وأن يكون مستنيرًا بالثقافة العامة ، ليستطيع أن يواجه الدعوات الهدامة والنحل الضالة ، والملل الخاطئة ، وأن يلم بلغة أجنبية أو أكثر .

ولذلك أنشأنا كلية للدعوة فى طنطا ، وقد بدأت فيها الدراسة بالفعل وستفتح كلية أخرى للدعوة فى القاهرة ، وأخرى فى المنوفية ، ونأمل أن يكون البرنامج المنتقى لهذه الكلية وافيًا بالغرض ، وأن يؤدى فيها أساتذة متخصصون على دراية واسعة بأهداف الكلية ، وحاجات العصر . وحقائق الدين وروحه[1]

وعندى من المشروعات مايكفل للإمام والداعية ورجل الدين الحياة الكريمة ، والإعداد السليم ، ونسأل الله المعرفة لإخراج كل ذلك إلى حيز الوجود والتنفيذ .

وأرى أن المكان الطبيعى لكل ذلك إنما هو الأزهر ، الذى حمل أمانة الدعوة أكثر من ألف عام . وفى كلياته العلمية والعملية مايكفل ازدهار الدعوة إن شاء الله .

---

(١) تم فى عهد الإمام الأكبر عبد الحليم محمود شيخ الأزهر تحقيق تنفيذ هذه الكليات بالإضافة إلى كلية البنات الإسلامية بأسيوط ، وكليات أصول الدين ، والشريعة بالمنصورة ، والشريعة بطنطا ، وتم افتتاح حوالى ١٠٠٠ معهد دينى بين ابتدائى وإعدادى وثانوى .

العالم الفرنسى (أندريه بوشان) ينكر شق البحر كمعجزة ، معللا ذلك بأسباب بيلوجية وطبيعية فما رأى فضيلتكم فى ذلك ؟

المعجزة أمر خارق للعادة ، يظهره الله على يد مُدعى النبوة ، تصديقًا له فى دعواه كما قال علماء التوحيد .

فهى أمر معجز ، وخارق للعادة ، أى لايجرى على سنن المألوف والعادة فى حياة الناس ، ويؤيد به الله تعالى الرسل تصديقًا لهم فى دعوتهم ، ليحيا من حَيَّ عن بينة ، ويهلك من هلك عن بينة وللمعجزة تأييد من الله القوى القادر ، الذى لايعجزه شىء ولايعجز عن شىء .

والعقل البشرى مهما سما وعلا وارتقى ، فهو محدود وقاصر ، وإدراكاته محدودة ، ومعارفه كذلك تحد بقيود وحدود وتفاوت ، والنظريات العلمية محكومة بقوانين ونظريات معروفة ، فكيف يتأتى لعقل بشرى أن يحكم على معجزة بالإمكان أو عدمه ؟

أولى بالإنسان أن يعرف قيمته ، وأن يسهم فى محيطه الضيق ، وأن يجول فى مجالاته التى يقدر عليها ، وتتاح له بتوفيق الله ويسره ومعونته .

والمتتبع للبشرية – حين وعت على مدار تاريخها ، ويرى أن من شأن الطفولة البشرية التمسك بالماديات ، والوقوف عند الملموس المحسوس ، والتشبيه والتجسيد والوقوف عند الأشياء المادية وحدها ، وقياس كل شىء بمقياس العقل والموازين البشرية .

ومن شأن الرشد الإنسانى التجريد ، والتنزيه ، وعدم الوقوف فى دائرة المحسوس وحده ، وإكبار شأن العقل فيما وصل إليه فقط .

والإيمان بأن قدرة الله تعالى وعظمته لاتقف عند حد ، ولاتحيط بها العقول ، ولاتحدها الأفهام ، ولذلك كان الإيمان بالغيب من صفات المؤمنين الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه : (الم ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ، ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، والذين يؤمنون بما أنزل إليك ومأأنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ، أولئك على هدى من ربهم ، وأولئك هم المفلحون) .

فنحن نؤمن بما جاء به كتابنا – وماحدثنا به نبينا ﷺ ، ونعتقد بوقوع المعجزات لأنبياء الله ورسله ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

استلهام الدين فى الثقافة الجنسية

للإسلام فكرته ونظامه ومنطقه فى السلام ، وللإسلام فكرته ونظامه ومنطقه فى الحروب : أسبابها ، والاستعداد لها ، وبعث الرهبة فى نفوس الأعداء وموقف الجندى فيها ، ومعاملة الأسرى وتحديد جزاء المقبل المتفانى ، وعقاب المدبر المتخلف ، وللإسلام فكرته ونظامه ومنطقه فى التجارة ، من بيع وشراء وكتابة عقود . . وللإسلام فكرته عن النظافة التى يسميها التطهر أو الطهارة طهارة النفس ، طهارة النية ، طهارة الضمير ، طهارة الجسد ، طهارة الثوب وطهارة المكان .

لقد حدد الإسلام ونظم كل أمر سواء فى ذلك ما اتصل بالمادةأوماتصل بالأخلاق ، أو ما اتصل بالغيب ، أعنى ماوراء الطبيعة ، ولقد وصل فى ذلك إلى أمور غير متوقعة فى نظام عام ككيفية الجلوس : الجلوس فى الطرقات ، وفى الأماكن العامة ، وفى غيرها وآداب ذلك ، وتدخل حتى فيما يراه الإنسان فى أثناء سيره ومايجب عليه بصدده ، بل تدخل حتى فى أسماء الأشياء ، فالحروب سماها (الجهاد) والنظافة سماها « الطهارة » فتدخله فى الأسماء نفسها إنما كان الهدف منه السمو بها ، وبموضوعاتها إلى مستوى إنسانى روحى يبعدها عن أن تكون فساداً أو سبباً فى فساد .

على أن تغيير الأسماء الهدف الإسلامى منه الجوهر ، وليس الهدف منه الشكل كما يبدو لأول وهلة ففكرة « الطهارة » تستنكر فكرة الأناقة من أجل الإغراء ، وفكرة « الجهاد » تستبعد فكرة الحرب من أجل السيطرة وامتصاص الدماء واستعباد الأمم .

إذن للإسلام إصلاح فى كل ميدان . . وتنظيم فى كل مجال . . ووضع القواعد لكل أمر . . ووضع للأمور فى نصابها ، سواء منها ماتعلق بالشخص نفسه ، أو فى صلته بأسرته ، أو فى صلته بالمجتمع الذى يعيش فيه ، أو العالم الذى يحيط به ذلك هو الإسلام .

فليس من الغريب – والأمر كذلك – أن يتحدث القرآن عن الحياة الجنسية . والحياة الجنسية تحتل فى عالمنا الحاضر مكاناً كبيراً ، فالكتب فيها تؤلف بكثرة ، وتنتشر على نطاق واسع ، بعد أن يطبع منها الآلاف .

بيد أن السمة الغالبة عليها إنما هى اللهو والعبث وإثارة الغرائز ، ولهذا الطابع نفسه نالت رواجاً كبيراً ، فالفتاة تقرؤها فى خدرها متخفية ، والشاب المراهق يلتهم صفحاتها التهاماً .

وفى المساء – عندما يستلقى كل منهم على فراشه تأخذ الفتاة ويأخذ الفتى فى أحلام اليقظة المتصلة بما قرأ .

من أجل ذلك حاول المصلحون أن يقوموا فى وجه هذا الفساد الذى يسرى بسرعة ، والذى لايقتصر شره على ساعات تضيع عبثًا فى القراءة ، وعلى ساعات تضيع عبثًا فى التخيل والأحلام وإنما يتجاوز الشر فى ذلك إلى تنفيذ الأحلام والتخيلات عمليًا فتتحقق الرذيلة وتنهار دعائم الفضيلة .

ولكن المؤسف أن الجرائد لاتستجيب إلى هؤلاء المصلحين ، فلا تفسح صدرها لآرائهم ، ذلك أن الجرائد نفسها ترى وتلمس أن من الوسائل التى تكون عاملا فى انتشارها إثارة الجنس .

ولذلك تنشر الصور المثيرة والأخبار الفاضحة ، والألاعيب والحيل التى يستعملها ممزقو الأعراض وجارحو الفضيلة .

بيد أننا لانكون منصفين إذا قصرنا فى الحديث على هذه الكتب العابثة ، فهناك لون آخر من الكتب تتحدث عن الحياة الجنسية بطريقة علمية وتشرح آراء « فرويد » وآراء مدرسته وتدعو فيما يدعو إلى إدخال التعليم الجنسى بطريقة منظمة فى المدارس ، وتزعم أنها بذلك تتلافى الضرر الذى يحدث عن طريق هذه الكتب العابثة .

وهذه الفكرة الأخيرة قد جربت فى عالم الغرب فكانت النتيجة على عكس ماتصوروا ، وفشلت التجربة فشلا ذريعًا . ونحن فى الشرق ، وسمتنا التقليد اللاواعى فى عالم الفتنة ، نريد أن نفعل مافعل الغربيون وفشلوا فيه .

أما التفكير النظرى العلمى فى هذا الجانب ، أعنى مايفعله علماء النفس عندنا من شرح آراء فرويد ومن نهج نهجه فإنه تفكير مضطرب كشأن التفكير النظرى عامة ، وإذا نسينا ، أو تناسينا هذا التغيير المستمر فى التفكير النظرى فإن ذلك لايمحو ولايزيل الحقيقة الصارخة وهى أن التفكير النظرى فى تغيُّر مستمر ، فما أثبته بالأمس ينقصه اليوم ، وما ابتدعه فى الآونة الراهنة يحطمه فى الغد القريب .

ومن المعروف أنه بمجرد ظهور نظرية (فرويد) قام فى وجهه – من علماء الغرب نفسه – المعارضون والمهاجمون .

ومدرسة (فرويد) نفسها ليست مدرسة محددة الآراء ، وليست مدرسة تلازم فكرة زعيمها دون مخالفة أو نقض سواء فيما يتعلق بالأسس ، أوفيما يتعلق بالنتائج .

وإذا تأملنا بعد ذلك أن الآراء البشرية خطاءة متعارضة متناقضة . فإننا لانقول إلا شيئًا بديهيًا بمعرفة من له صلة بالتفكير البشرى .

فى وسط هذه الحيرة كان لابد أن تتطلع النفوس إلى ملجأ يعصمها من الزلل . وهذا الملجأ العاصم المعصوم هو الدين ...

حول فيلم (محمد رسول الله) أو (الرسالة)

إن قرار مجمع البحوث الإسلامية فيما يتعلق بفيلم (محمد رسول الله) لايحتاج إلى رؤية الفيلم فإن القرار منفصل عن هذا الفيلم وعنّ غيره من الأفلام .

والقرار يقره كل مسلم لأنه تقديس واحترام لرسول الله ﷺ وصحابته إنه يقول :

لايجوز مطلقًا أن يظهر الرسول ﷺ أو أحد من الصحابة على الشاشة وذلك لأمور :

أولا : يعترف المسلمون جميعًا أن الرسول ﷺ أكمل البشر ، وخير المخلوقين وصورته المعنوية فى أذهان المسلمين صورة مستمدة من إيمانهم وعقيدتهم بأنه صلوات الله عليه وسلامه على الذروة من الخلق الكريم ، ولايتأتى تمثيله فى صورة تنزل بمكانته الرفيعة وبقدسيته التى فرضتها الرسالة .

والصحابة رضوان الله عليهم أثنى عليهم الرسول ﷺ ووصفهم بالحميد من الصفات ، وتمثيلهم نزول أيضًا بهم عن مكانتهم الشريفة .

من هو ذلك الممثل الذى يمثل شخصية أبى بكر رضى الله عنه ، وعثمان ، وعلى وأبى عبيدة ؟ ومن هو الممثل الذى يستطيع أن يمثل سيد الشهداء حمزة عم الرسول ﷺ ؟ إن كل تمثيل لسيد الشهداء نزول به عن مكانته فمن يدانيه حتى يمثله . . ؟ **هذا أمر** .

والأمر الثانى : هو أن الممثلين يرتبطون فى أذهان المشاهدين بعدة مواقف مثلوها من قبل بعضها عابث ، وبعضها عريق فى الإجرام ، وبعضها يساهم فى مواقف الغرام بحظ موفور ، فكيف نبيح لأمثال هؤلاء الذين يرتبط ماضيهم بهذه المواقف التمثيلية المختلفة أن يقتحموا حصن القداسة فيمثلوا حمزة أو يمثلوا أبا بكر ؟

ثم إن هؤلاء الممثلين سيمثلون فى مستقبل حياتهم أدوارًا أخرى ، أدوار المهربين أو اللصوص ، أو العشاق ، أو المهرجين ، ولايسمح الأزهر والصورة هكذا بأن يمثل الصحابة على الشاشة .

والأمر الثالث : الذى من أجله يمنع الأزهر تمثيل الصحابة : هو الجانب التاريخى الإسلامى

ممثلا فى الصحابة ، وهذا الجانب قول فيه عبارة عن وثيقة ودين يعمل به ويحتج به ، وكل انحراف فيه له خطورته ، وردعًا لكل انحراف ، وتلافيًا لكل خطأ فإن الأزهر يمنع تمثيل الصحابة .

وأمر أخير فى غاية الأهمية ، ذلك هو تفسير التاريخ على ضوء أحداث العصر والبيئة والمبادئ المعاصرة ، وفهم الشخصيات فى ضوء المبادئ السائدة ، وذلك فى غاية الخطورة وهو تزييف للتاريخ ، ومن أمثلة ذلك ماحدث فعلا فى تمثيلية أبى ذَرٍّ الغفارى ، التى عرضها التليفزيون علينا فى يوم من الأيام .

لقد كانت مهزلة فأبو سفيان عابث صاحب خمر ونساء ، وهو من هو اتزانًا وحكمة ، وعبد الرحمن بن عوف إقطاعى بالمعنى الذى تعنيه الكلمة فى العصر الحاضر ، وهو المبشَّر بالجنة ، وهذا وذاك من الصحابة فى صورة هى مسخ للتاريخ .

وإذا نظرنا فى إخلاص إلى كل هذه الأسباب مجتمعة فإننا سنقر وجهة نظر الأزهر وهى وجهة نظر لاترتبط كما قلنا برؤية الفيلم لأنها منفصلة عن الرؤية ، وذلك أن أسسها مبادئ محددة باقية على مر الزمن .

فى خلق الداعية

تحدثت عدة مرات عن خُلق الداعية ، وكنت كل مرة أبين أن العنف فى القول ، وأن القسوة فى التعبير ، وأن الإساءة إلى الناس – ميتين أو أحياء – لايتناسب مع قول الله تعالى:(ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن) .

وكنت أبين أن الرفق فى القول ، واستعمال الحكمة ، والأخذ فى الموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن من خُلق الإسلام الحميدة ، ومن وسائل النجاح فى الدعوة .

وكنت أضرب الأمثلة على ذلك ومن تلك الأمثلة :

أن واعظا ذهب يعظ المأمون فكان عنيفًا فى الأسلوب ، قاسيًا فى التعبير ، فقال له المأمون : ياهذا إن الله تعالى قد أرسل من هما خير منك ، وهما موسى وهارون عليهما السلام ، إلى من هو شرٌ منى وهو فرعون ، فماذا نصحهما سبحانه ؟ إنه تعالى قال لهما :

(فقولا له قولا لينًا لعله يتذكر أو يخشى) .

لقد وعظه المأمون ووقف منه موقف المرشد متتبعًا التعاليم الإسلامية . ولقد ذكرت كمثال أيضًا : أن الإمام الشافعى رضى الله عنه كان يصلى الصبح فى يوم من الأيام بالقرب من ضريح

الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه . ومذهب الإمام الشافعى القنوت فى الصبح . ومذهب الإمام أبى حنيفة القنوت فى الوتر فترك الإمام الشافعى مذهبه وهو القنوت فى الصبح آخذًا بمذهب أبى حنيفة فى تركِ القنوت فى صلاة الصبح ، وترك القنوت لايبطل الصلاة ، ومادام الأئمة قد اختلفوا فى الصلاة التى يترك فيها القنوت وفى الصلاة التى يقنت فيها الإنسان فلا ضير على مسلم فى أن يتبع مذهبًا منها ، وليس فى هذا مجاملة فى الصلاة ، فلم يترك الإمام الشافعى ركنًا من أركانها ولا واجبًا من واجباتها .

وقد قنت رسول الله ﷺ فى الصبح ، وقنت صلوات الله وسلامه عليه فى الوتر ، فمن قنت فى الصبح فقد أخذ بسنة رسول الله ﷺ التى ثبتت عنده ، ومن قنت فى صلاة الوتر فقد أخذ بسنة رسول الله ﷺ التى تثبت عنده ، وصلاة كل منهما صحيحة .

وإذا أقيمت كما يحب الله ورسوله فإنها تثمر ثمرتها وهى الانتهاء عن الفحشاء والمنكر : (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) ونرجو الله سبحانه وتعالى أن يهدينا إلى صراط مستقيم وأن يرزقنا التوفيق فى الدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن .

فى منزلة المسجد الأقصى بالنسبة للمسلمين

إن منزلة المسجد الأقصى بالنسبة للمسلمين منزلة عظيمة إنه أحد مقدساتهم ، وله فى نفوسهم منزلة كبيرة منذ أن أسرى برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى يقول تعالى : (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله) لقد باركه الله ، وبارك ماحوله من أماكن وبقاع ببركات الدين والدنيا ، وفى ليلة الإسراء المباركة جمع رسول الله ﷺ الأنبياء والرسل ليصلى بهم فى المسجد المبارك ، فلما اصطفوا للصلاة أخذ جبريل عليه السلام بيد رسول الله ﷺ وقدّمه إمامًا لهم جميعًا ، فدل ذلك على أنه هو الإمام الأعظم ، والرئيس المقدم ، ودل أيضًا بطريق الرمز والإشارة ، بل بطريق واضح لالبس فيه ، على أن الكلمة الأولى والقيادة المباشرة فى بيت المقدس يجب أن تكون للمسلمين ، إن بيت المقدس هو أولى القبلتين ، وهو ثانى المسجدين ، وهو ثالث الحرمين ثم إنه مسرى خاتم النبيين ، وهو معراجه إلى السماوات العلا حيث رأى صلوات الله عليه وسلامه سدرة المنتهى عندها جنة المأوى إذْ يغشى السدرة مايغشى مازاغ البصر وماطغى ولقد تفضل الله عليه وأنعم فأراه من آياته الكبرى .

ومن مظاهر تقديس المسلمين أن سيدنا عبد الله بن عمر رضى الله عنه كان إذا دخله لايشرب

من مائه وذلك ليجرد قصده عن كل شيء سوى الصلاة ، وهذا من دقائق الملاحظات عند هذا الإمام الجليل ، هاهو ذا إذن الموقف الذى يجب أن يكون للمسلمين فيما يتعلق بهذا المسجد ؟

إن قداسة هذا المسجد ووجوب المحافظة عليه لاتختص بأمة من أمم المسلمين دون أخرى . فجميع المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها أفرادًا وجماعات وأممًا يجب عليهم جميعًا المساهمة الفعالة فى استرداده والمحافظة عليه والقيام على شئونه ، وكما أصلحه سيدنا عمر بن الخطاب وهيأه تهيئة كريمة حينما فتح القدس ، فكذلك يجب على المسلمين أن يتولوا من شأنه الكبير والصغير ، وأن لايفرطوا فيه وهو من مقدساتهم .

وأن أرواح الشهداء الذين فتحوا القدس ، وأرواح شهداء الحروب الصليبية ، وروح صلاح الدين لتطل على المسلمين جميعًا منتظرة منهم البطولة والتضحية التى ترضى الله ورسوله .

فى موقف علمائنا من أخلاقيات اليهود وجرائمهم

إن اليهود منذ أن وجدوا لم ينقطعوا عن ارتكاب الجرائم فى عهد من العهود ، إن الشر طبيعة فيهم ، ولم يسلم أحد من أذاهم ، لقد قالوا عن الله تعالى : إنه فقير ونحن أغنياء ، وقالوا عنه سبحانه : يد الله مغلولة .

ورد عليهم بقوله : (غُلّت أيديهم ولُعنوا بما قالوا) : ولعنة الله قد صبت عليهم لأسباب كثيرة ، منها نقضهم العهد والميثاق ، يقول سبحانه:(فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم) ، ومنها ماعبر الله عنه بقوله:(لُعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه) .

ولقد أخذ الله سبحانه وتعالى عليهم أيضًا أنهم قالوا على مريم بهتانًا عظيما ، لقد اتهموها وهى الطاهرة المطهرة بالمنكر والفحشاء ، وسبوها فى عرضها وشرفها وهى المبرَّأة التقية .

ولايستبعد على اليهود أى جريمة من الجرائم ، وكتب التفسير التى ألفها العلماء منذ القرن الثانى للهجرة إلى الآن – وهى من الكثرة بحيث لاتكاد تعد والكتب الخاصة باليهود التى ألفها العلماء أيضًا وحديث العلماء فى الإذاعات والتليفزيون والصحف والمجلات ، وخطبهم فى المساجد ، ومحاضراتهم فى الأندية ، كل ذلك شاهد على أن العلماء منذ العصور الأولى للإسلام لم يقصروا فى واجب ولم يقصروا فى بيان الحق .

وهاهم أولئك على خطوط المواجهة مع الجنود جنبًا إلى جنب أمام الأعداء يقومون بدورهم ، ويؤدون واجبهم ، ويشهد بذلك قادة الجيش أنفسهم .

أما إذا لم يحط شخص علمًا بكل هذا الذى أدوه ويؤدونه فإن مسئولية ذلك لاتقع عليهم ، وإنما تقع على الذين يصدرون الآراء دون عناية بدراستهم .

فى فلسفة مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية بالنسبة للعدوان الإسرائيلى

ينطلق المؤتمر فى مواجهة العدوان الإسرائيلى على البلاد العربية والمقدسات الإسلامية من مبدأ فكرى معين ، هو أن الصراع القائم فى المنطقة له واجبات مختلفة وله جذور تمتد إلى مجال العقائد نفسها ،

فالصهيونية وإن كانت تمثل أطماعًا سياسية واستعمارية معينة فإنها ترتكز فى فلسفتها وفى تجميع الآراء حولها على قاعدة عقائدية تدين بالعنصرية وبتفوق الجنس ، كما تدين بكراهية الأديان والعقائد المخالفة كافة وتعمل على تدميرها ، وتحقير أصحابها ووضعهم فى مواضع الذل والضعف والتبعية ، ومن ثمة كان لابد من عقيدة تواجهها ، وكان لابد لهذه العقيدة من أن تدين بمبادئ مخالفة للصهيونية فى جوهرها ، لابد لها من أن تكون قائمة على السماحة وتكريم الإنسان وحرية الرأى والشمول الإنسانى ، وهذه العقيدة التى يدعو إليها المؤتمر فى مواجهة الفلسفة الصهيونية العنصرية هى بالبداهة عقيدة الإسلام هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن البشر الذين ينبغى تكتيلهم للوقوف موقف الدفاع ضد أصحاب العقيدة الصهيونية الباغية كان لابد من أن يرفعوا لهم شعارًا عقائديًا ناضجًا يواجه شعار الصهيونية الفاسدة ، ومن غير التوصل إلى مثل هذا الشعار تذهب سدى كل الجهود التى تبذل للتجميع والتوحيد .

ومن هنا يدرك المؤتمر أن شعار الإسلام هو الكفيل بتحقيق الوحدة المأمولة لكل راغب فى الدفاع عن المقدسات ومدافع عن الكرامة .

فى دعم المعاهد الأزهرية

إن المعاهد الدينية تشكل القاعدة العريضة فى الهيكل التعليمى للأزهر الشريف وقمة هذا الهيكل هو جامعة الأزهر ، وهذه الجامعة كانت فيما مضى تضم كليات ثلاثة هى : كلية أصول الدين ، وكلية الشريعة ، وكلية اللغة العربية ، وتعنى هذه الكليات بعلوم العقيدة والشريعة واللغة العربية ، ويتخرج فيها علماء فى هذه المجالات ، يقومون بعد تخرجهم بمسئولية الدعوة الإسلامية

أئمة للمساجد ووعاظًا ومرشدين على المستوى الجماهيرى والقوات المسلحة ، ويتولى بعضهم تدريس الدين واللغة العربية فى المدارس العامة والمعاهد الدينية ، وتقوم طائفة منهم بمهمة النظر فى قضايا الأحوال الشخصية والفصل فيها ، ذلك على المستوى الداخلى .

أما على المستوى الخارجى فإن كثيرًا من علماء الأزهر يوفدون إلى البلاد الإسلامية يحملون رسالة الإسلام ونشرها بين ربوع هذه البلاد ، ويشاركون فى مجال التدريس بالمعاهد الدينية والجامعات الإسلامية بها ، كان ذلك قبل صدور القانون رقم ١٠٣ السنة ١٩٦١ بشأن إعادة تنظيم الأزهر والهيئات التى يشملها ، وقد استحدث هذا القانون إلى جانب كليات جامعة الأزهر الأصيلة كليات أخرى نظرية وعملية ، هى كليات : التجارة والتربية والزراعة والعلوم ، والهندسة والطب بأنواعه ، والصيدلة ، وكلية البنات الإسلامية . لقد استهدف القائمون من ذلك بعد أن اتسعت جوانب الحياة واستردت الدول الإسلامية حريتها واستقلالها وتخلصت من كابوس الاستعمار الذى عاق حركتها وحصرها فى دائرة التخلف قرونًا طويلة . استهدفوا أن يُوصل بين الدين والحياة ويُربط بين العقيدة والسلوك فحرصوا على أن تخرّج جامعة الأزهر علماء عاملين ، يجمعون إلى الإيمان بالله والثقة بالنفس وقوة الروح والتفقه فى العقيدة والشريعة ولغة القرآن كفاية علمية وعملية ، فيشاركون فى كل أنواع النشاط والإنتاج والزيادة ، والقدوة الطيبة على مستوى العالم الإسلامى والوطن العربى ، إن كليات جامعة الأزهر فى ظل هذا القانون لا يمكن أن تكون صورة مكررة من كليات الجامعات الأخرى وإنما هى ذات نوعية خاصة تحقق للطالب ثقافة دينية واعية إلى جانب الثقافة المهنية التى يحصلها نظراؤهم فى الكليات المماثلة فى الجامعات الأخرى ، وليست هذه النوعية جديدة فى تاريخ الأزهر والجامعات الإسلامية ، فإن أعظم علماء الطب والكيمياء والرياضيات والفلك كانوا علماء دين منهم الشيخ ابن سينا ، والفارابى ، وابن الهيثم ، وجابر ابن حيان ، وآخرون ، كثيرون استفاد العالم كله شرقه وغربه بعلمهم وخبراتهم .

وجامعة الأزهر تنال حظها وافرًا من العناية والاهتمام ، أنشأت لها فروعًا فى كل من أسيوط وطنطا والزقازيق والمنصورة .

وحتى تجد جامعة الأزهر طلابها الذين يجمعون بين علوم الدين والدنيا ، ولهم الأهلية الكاملة لمتابعة الدراسة الجامعية فى كليات جامعة الأزهر كانت المعاهد الدينية هى الروافد الأصيلة لهذه الجامعة ، ولكن المعاهد الدينية قد وقف نموها عند الحد الذى كان عليه أكثر من قرن ، فى الوقت الذى تزايد فيه عدد السكان فى الداخل والخارج ، وتعددت الكليات والفروع فى جامعة الأزهر فعجزت المعاهد عن الوفاء بحاجة هذه الكليات من الطلاب لقد كان عدد المعاهد فى العام

الدراسى ٧٤ /١٩٧٥ على النحو التالى :

٢٩٠ معهداً ابتدائياً .

٩٦ معهداً إعدادياً .

٩٦ معهداً ثانوياً .

٥ معاهد للفتيات .

إلى جانب معهدين اثنين للقراءات وآخرين للمعلمين .

ولن تستطيع هذه الأعداد أن توفر ٣٠٪ من حاجة جامعة الأزهر على أحسن الفروض وبذلك يتبين أن الهرم التعليمى للأزهر معكوس ، ولكى تحقق جامعة الأزهر أهدافها وحتى يتمكن الأزهر من مواصلة رسالته التى نهض بها منذ أكثر من ألف عام كان لابد من دعم المعاهد الدينية ، وهى القاعدة العريضة فى الهيكل التعليمى للأزهر ، ومن العمل على وضع خطة لتوفير العدد الكافى منها بقدر مايتوفر من إمكانات مالية .

ولقد قامت مصر بواجبها فى هذا الشأن ولم تبخل بمال على قدر ماتتحمل ميزانيتها التى أرهقتها مسئولياتها القومية ، فلم أجد بدًّا من أن أتجه إلى أبناء وطنى داخلياً وخارجياً فوجهت دعوتى إلى الحكومات الإسلامية ، وإلى الغيورين على دين الله على مستوى العالم الإسلامى والعربى .

أما على المستوى الداخلى فقد وجهت دعوتى أيضًا إلى الهيئات والشركات والأفراد ومازلت أدعو ، وقد استجاب القليل من الهيئات والشركات بقدر ماسمحت به ميزانيتهم أما على مستوى الأفراد فإنه لما يستوجب الحمد لله ويبشر بالخير أن أرى بعض المواطنين قد عمدوا إلى إنشاء معاهد ابتدائية أو إعدادية بجهودهم الذاتية ، والأزهر يقدم لهم المعونة المالية وبقدر ماتسمح به ميزانيته مساعدة وتشجيعاً لهم ، وهم بهذا العمل المحمود يقومون بواجبهم نحو دينهم ووطنهم ، وإنى أعلن أن الأزهر يرحب كل الترحيب بهذا الأسلوب ، ويوفر لهم المعونة الفنية ، ويقدم المساعدة المالية بقدر طاقته كما أن كل معهد يتم بناؤه بالجهود الذاتية وتتوفر فيه إمكانات الدراسة يسارع الأزهر إلى قبول التبرع به ويضمه إلى معاهده وفتح الدراسة به .

ومن الأهمية بمكان أشير إلى أن المعاهد الدينية يجد فيها طالب الدين بغيته ، وطالب الدنيا أمله فإن المتخرجين فيها يجد كل واحد منهم مكانًا فى جامعة الأزهر وكلياتها النظرية والعلمية دون التقيد بمجموع معين ، فضلا على أنه يتمتع بعد تخرجه وبلوغه الستين ببقائه فى الخدمة خمس سنوات زيادة على غيره خريجى الجامعات الأخرى حتى تنتهى مدة خدمته عند بلوغ الخامسة والستين .

فى الدعوة إلى الحضارة العلمية والصناعية مع التمسك بالقيم الإنسانية التى جاءت بها رسالة الإسلام

يقول الله تعالى : (لقد أرسلنا رسلنا ، بالبينات ، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوى عزيز) .

فتوضح الآية الآن أن نعمة الرسالة على الناس أمران : أمر يكشف عن طريق الحق وصراط الله المستقيم ، وهدايته إلى العدل بين الناس جميعاً ، وهو كتاب الله ، والميزان الذى جاء به هو تلك المبادئ التى تحدد المنهج السليم فى التفكير والسلوك والمعاملات .

وأمر يرشد الناس إلى مصدر المنافع المادية ، وإلى مصدر القوة والمنعة وهى الحديد والصناعة .

والله سبحانه إذ يصف نفسه هنا بأنه قوى لا يغلب ، وبأنه عزيز وصاحب منعة ، فإنه يبغى لعباده أن يكونوا على صفته فى القوة والمنعة ، وقوتهم – كما تصرح هذه الآية تستند إلى هداية الله فى كتابه ، وإلى استخدام الحديد فى منافعه العديدة وفى قوته المادية ومنعتهم ضد الاعتداء عليهم ، ولا تتوافر لهم القوة والمنعة إلا باتباع هداية الله فى كتابه ، وباستخلاص الحديد من ترابه واستخدامه فى مصالح الناس .

وحضارة الحديد وحدها – وهى الحضارة الصناعية اليوم القائمة على التطبيق العلمى – لا توفر وحدها القوة والعزة من غير التمسك بهداية الله ، لأنها قد تتجه – لو أطلقت وحدها – إلى تدمير وإرهاب البشرية أكثر مما تتجه لخيرها ، وهنا تكون مصدر تهديد وخوف ، وتتحول إلى شبح يقلق البشرية ويجعلها تعيش فى فزع مستمر ، وعندئذ تبعد تماماً عن أن توفر للبشرية القوة التى تقيها من شرور الضلال .

وهداية الله فى كتابه وفرت للمؤمن قوة النفس ويقظة الضمير ، ووفرت الصبر وعدم الاضطراب والقلق فى مواجهة الأزمات ، وهذه الهداية فى حاجة معها إلى القوة المادية لدفع الاعتداء عن الإيمان والمؤمنين بالله من أعداء الإنسانية ، وهم الماديون .

لا ينبغى أن يفر المؤمنون من إيمانهم برسالة الإسلام ، فإنها الرسالة التى تقيهم الطغيان بالقوة ، والتى تحملهم على تجاوز الأزمات والشدائد ، والتى تحكم الروابط بينهم على أساس من

هداية الله فيها ، وهى روابط الإنسانية فى حصائصها ، بعيدة عن القبلية والشعوبية والعنصرية ، وإذ ينادى القرآن الكريم فى قول الله تعالى : (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها) . فإنه يرشد إلى قيمة التماسك على أساس من الخصائص البشرية وحدها ، فوق مصادر التفرقة والخصومة التى توحى بها القوميات والشعوبية ، والإسلام بندائه هذا يمجد الإنسانية ، ويوصل دعوته إلى محيط العالمية .

كما لا ينبغى لهم أن يفرطوا فى اكتساب العلم والتطور الصناعى ، فالمعرفة والصناعة هما دعامتا التقدم الحضارى فى القوة المادية ، والإفادة من الحديد فى منفعتهم ومصالحهم الدنيوية .

وبهذا وذاك يجمعون بين الحسنيين ويطيعون كتاب الله فيما جاء فيه خاصًّا بهدايته ، وكذلك بنعمه على الإنسان فى هذه الحياة الدنيا ، وفى مقدمة هذه النعم الحديد ، وكل ما يطلب منهم أن يحذروا أن تطغى إليه الصناعة فتستعبد هذه الآلية إرادة الإنسان ، فتزل قدمه فى هاوية الفساد والانحراف والانحلال .

والعاصم للبشرية دائماً هو تذكر الله وخشيته واتباع ما وصاهم به ، وبذلك يحمون أنفسهم من الإسراف (إن الله لا يحب المسرفين) .

فى معنى العبادة

ما معنى كلمة العبادة ، وما معنى الأمر التعبدى ؟

العبادة معناها الطاعة والخضوع ، ومعنى قوله تعالى : (إياك نعبد) نطيعك الطاعة التى نخضع معها ، والعبادات فى الإسلام أعمال أمرنا الله تعالى بالقيام بها فأطعنا ونفذنا ما أمر به . وهى أساساً الصلوات الخمس وأداء الزكوات بمختلف أنواعها ، وصيام رمضان وما تطوع به العبد بعد ذلك .

ومعنى عَبَدَ الله : أطاعه وأدى ما أمره به .

أما الأمر التعبدى فهو الأمر الذى لا نعرف به حكمة ولا تعليلا ، وهذا لابد منه فى العبادات . وبعض الناس يحاول أن يجعل للعبادات فوائد مادية ، فهم يقولون مثلا : فى الصلاة رياضة بدنية ، وفى الصيام صحة ووقاية من بعض الأمراض ، وعلاج من أمراض أخرى ، وهكذا وقد يكون هذا صحيحاً ، ولكننا لا نصلى رياضة ولا نصوم حمية وعلاجاً ، وإنما نفعل ذلك كله طاعة لله وامتثالا لأوامره ، ولو قصدنا الرياضة والصحة ما كان عملنا عبادة ولا استحققنا عليه

ثواباً ، ثم إنه كان من الممكن أن يستغنى عن العبادة بعمل يؤدى وظيفتها فهناك من تمارين الرياضة ما هو أجدى على الجسم ، ثم يكون حينئذ من الممكن أن يفطر الصائم قبل المغرب بدقائق أو بعد الفجر بلحظات ، فهذا لا يؤثر فى الحمية ولكنه يفسد العبادة ، ويكون من الممكن أن نصلى الصبح أربع ركعات ، ولكننا نؤدى العبادات طبقا لما أمر به الشارع فإذا أنقصناها أو زودنا فيها فسدت نهائيا ، لأننا خالفنا تعاليم الله .

وهناك من شئون العبادة ما لا تظهر له حكمة ولا يعود علينا بفائدة مادية ، فوضوءنا ينتقض بخروج غازات من أجسامنا ، ولا تصح الصلاة به بعد ذلك ، ونحن نطوف حول الكعبة وهى على يسارنا ولا يجوز أن نطوف بها وهى على يميننا ، وطوافنا يكون سبعة أشواط لا خمسة ولاثمانية ونحن نفعل ذلك كله طاعة لله ووفقاً لما أمرنا .

كأن ذلك يعنى أن العبادات عمل بين العبد وربه ولا علاقة لها بدنيا الناس وحياة المجتمع . . لا ، لا ليس الأمر كذلك .

العبادة فى كيفيتها وطريقة أدائها أمور تعبدية علينا أن نؤديها حسبما بينها الله لنا ، أما أثرها بعد ذلك فى سلوكنا وحياتنا الاجتماعية فأمر بيّن لا ينكره أحد ، فالشخص الذى عوّد نفسه أن يؤدى العبادة ، حسبما أمر بها طاعة لله وخشية منه ، يسهل عليه أن يخضع نفسه لطاعته فى الأمور الأخرى التى أمره بها ، من حسن التعامل ومساعدة الضعيف . والصدق فى القول ، وكل شىء يعلم أنه يرضى ربه يسهل عليه أن يعمله وإن ثقل عليه ، وكل شىء يعلم أن الله لا يرضاه ، يستطيع أن يكبح نفسه عنه ، وإن كان حبيبا لديه .

ألست ترى الجيش فى تدريبه يقوم بحركات عديدة لا يعرف لها سبباً ولا فائدة ، ولكنها تعوّده النظام والطاعة .

ومن العبادات ما شرع لصالح المجتمع مثل الزكاة ، فهى مال يدفعه الأغنياء من فضول أموالهم للفقراء أو لبيت المال ، وهى تتفق لسد حاجات الفقراء وحاجات الدولة ، وذلك لإصلاح المجتمعات ، والحج أيضاً هو مؤتمر عام للمسلمين يجب أن يدركوا حكمته الاجتماعية ويستفيدوا منها ، فنحن نحج طاعة ونستفيد فائدة اجتماعية ، ونؤدى زكاتنا طاعة وعبادة ، ونستفيد فائدة اجتماعية ، وكذلك نصوم طاعة ونجنى فائدة صحية واجتماعية ، والعبادات دائماً إصلاح للسريرة ، وتعوّد على الاستقامة على حدود الله ، ولا يصلح مجتمع بغير ذلك . وفى القرآن الكريم : (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر) وذكر الله تعالى يعنى تذكره وخشيته .

والرخصة هى الشيء الاستثنائى ، والعزيمة الشيء الواجب ، فمثلا الصوم أمر مفروض من الله تعالى على كل مسلم مكلف فهو عزيمة ، وقد يطرأ للشخص ما يجعله ضعيفاً عن أداء صومه فيسمح له بالفطر محافظة على صحته ، أو تمكيناً له من أداء واجبه ، فهذا السماح رخصة ، أى شيء استثنائى لسبب طارئ ، والله سبحانه وتعالى يحب أن تؤتى رخصه كما تؤتى عزائمه والصلاة التى هى أربع ركعات فى الحضر يرخص للمسافر نظراً للمشقة التى يلاقيها فى سفره أن يقصرها ، فيصلى ركعتين اثنتين فقط . فهذه رخصة أيضاً ، الحاج القادر يطوف بنفسه ويسعى ، ورُخص للضعيف أن يستأجر من يحمله ، فهذه رخصة وهكذا .

أما عن المسافة التى يجب فيها قصر الصلاة فالأمر يتوقف على المسافة التى يقطعها المسافر ، فإذا كانت مسافة قصر جاز له أن يقصر ، وأنه يفطر – فإذا وقفت الطائرة بشخص فى مطار ما وكان وقت صلاة الظهر أو العصر مثلا – صلى ركعتين فقط ، وإذا قامت به طائرته من بلد ما قبل الفجر لتصل إلى بلد آخر عند الظهر أو بعده جاز له أن يقصر ، لأن المسافة أكثر من أربعة يُرد ، وشرع لقطعها الفطر وقصر الصلاة ، وقصر الصلاة فى هذه الحالة أفضل ، وصوم اليوم أفضل لقوله تعالى : (وأن تصوموا خير لكم) وإذا وصلت به الطائرة بلده قبل المغرب ولم يكن صلى الظهر والعصر صلاهما كاملين ، لأن سفره قد انتهى ووقتهما لا يزال حاضراً .

وأوصى بالإضافة للفرائض بالعناية بصلاة النوافل ، والإكثار منها ، لأنها مما يقرّب العبد من ربه . . وفى الحديث لا يزال عبدى يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه . ونوافل الصلاة كثيرة ، ركعتان قبل الظهر وبعده ، وركعتان قبل العصر ، وبعد المغرب وبعد العشاء ، أما صلاة الليل فإنها من السر الخفى بين العبد وربه ، وثوابها . أكبر من ثواب النوافل الأخرى .

وكذلك التطوع بالصيام : صوم يومى الاثنين والخميس ، وثلاثة أيام من أول كل شهر ، وستة أيام بعد رمضان وكل تطوع بعبادة يرفع درجة المؤمن عند ربه ، والله تعالى يقول : (فمن تطوع خيرًا فهو خير له) ونسأل الله الهداية والتوفيق لجميع المسلمين .

والحمد لله رب العالمين.

نصيحة إلى الشباب المعاصر

سن المراهقة هى أخطر مراحل الحياة التى يمر بها الشباب ، وكثيرًا ما يميل فيها الشباب إلى الانحراف ، ويظهر ذلك فى سلوكهم وأخلاقهم وخروجهم عن المألوف والآداب العامة ، مندفعين وراء طيش الشباب ، ولذا كان من الواجب على الآباء والمعلمين والمربين أن يتخذوا العدة لتربية

الشباب قبل بلوغهم هذه المرحلة ، وذلك بتنشئتهم على الآداب والمثل العليا ، واتباع أوامر الشرع الشريف حتى يصلوا إلى هذه المرحلة وقد انغرست فى نفوسهم الآداب والأخلاق الحسنة ومرنوا على احترام شعائر الدين .

قال صلوات الله وسلامه عليه ، « مروا أولادكم بالصلاة لسبع ، واضربوهم عليها لعشر ، وفرقوا بينهم فى المضاجع » .

ومن الكلمات الرائعة الجامعة التى بلغت الذروة فى تربية الشباب وتنشئته ، والتى يجب أن يتخذها المرشدون والمصلحون والمربون نموذجاً يسيرون عليه ماورد فى الحديث الصحيح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كنت رديف النبى ﷺ . فقال : « ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن ؟ :

احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، وإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك ، طويت الصحف وجفت الأقلام » .

وإنه لمن المعروف المجرَّب أن من شب على شىء شاب عليه ، فإذا اعتنى الآباء والأمهات بتنشئة الأطفال على الدين ومكارم الأخلاق منذ الطفولة فإنهم يسيرون على ذلك طيلة حياتهم ، وإذا كانت المسئولية ملقاة فى الدرجة الأولى على عاتق الآباء والأمهات فإن المدارس ومعاهد العلم فى درجاتها المختلفة عليها مسئولية كبيرة فى هذا الشأن ، ولقد نادى المصلحون فى كل عصر بوجوب العناية بأمر الدين فى المدارس ، ولكن أصواتهم ذهبت أدراج الرياح فى كل الأقطار الإسلامية والآن المشرفون فى وزارات التعليم أغلبهم الأعم من خريجى الجامعات الغربية فهم يحتذون فى أمور الدين ما يحتذيه الغرب فى هذه الأمور فلا تتفتح آذانهم للدعوة إلى الدين ، ولا تنشرح صدورهم لإيجاد المجال له اللهم إلاّ فى أضيق الحدود ، فإذا فتحت المدارس أبوابها للدعوة الدينية فى صورة من الجد فإن ذلك بالإضافة إلى عناية الآباء والأمهات – يعدّ خطوة متقدمة من أجل وسائل إصلاح الشباب . .

فى السعى على الرزق

أمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بأن يسعوا فى طلب الرزق وكسب العيش فى كثير من الآيات ، وكذلك حث النبى ﷺ على الكسب ليعيش الإنسان من كسب يده .

ولكن هذا الكسب مقيد بأن يكون من الطرق المشروعة التى ليس فيها معصية لله ولا مخالفة لأمره ولا ارتكاب لما نهى عنه ، أو معاونة على المعصية .

والمسلم بمقتضى إيمانه يعبد الله وحده ولا يشرك به أحدًا ، ويلزمه على ذلك أن يبتعد عن كل عمل فيه مساس بهذه العقيدة أو المساعدة على ما ينافيها ويناقضها ، وليس كسب العيش مقصوراً على العمل فى الأمور التى تنافيها عقيدة المسلم ، بل طرق العيش كثيرة وأسبابه متنوعة فليطلبها المسلم من الحلال البعيد عن المحرم ، ومتى خلصت النية لله فإن الأبواب تتفتح ، ويبارك الله فى السعى فليلتزم المؤمن بقول الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه : « إن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال : (يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) . . وقال : (يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً) » . والله الموفق والمعين .

فى الإسلام والحضارة الحديثة وفكرة التطور

موضوع الدين والحضارة يستدعينى أن أقول فى المبدأ : إننى مهما تحدثت عن الحضارة بإجلال أو بتحقير ، ومهما تكلمت عنها بنقد أو تحليل فإن الدين على وجه العموم لا يعارض أبدا التقدم العلمى لإسعاد الإنسانية ، لا يعارض التقدم الصناعى لإسعاد الإنسانية ، لا يعارض الناحية العلمية على أية صورة كانت مادام الأمر يتعلق بإسعاد الإنسانية ، وإذا كانت هذه القضية مفروغاً منها ، فإنى أتجه إذن لتصوير نشأة الحضارة .

نشأة الحضارة :

الحضارة نشأت فى فترة معينة من التاريخ ، وفى زمن محدد نعلم ابتداء ، ونعلم العوامل التى أنشأتها والتى كانت الأساس فى هذه النشأة .

وكلنا يعلم أنه فى فترة من الفترات ، كانت الكنيسة مسيطرة على العالم الأوربى سيطرة تامة ، ماكان هناك شىء يفعل ، أو شىء ينتهى فيه الأمر .

ولا شىء يقام أو يهدم ، وماكان إنسان يقدم على أمر أو يحجم عن أمر إلا باستئذان الكنيسة ، وباستئذان رجال الدين ، ولكن الكنيسة ورجال الدين تعسفوا فى استعمال سلطتهم حتى لقد أنشئوا محاكم التفتيش . وقد كتب الأوربيون المسيحيون عن محاكم التفتيش كثيرا وصوروها فى أبشع مظاهرها ، وفى أسوأ صورها : كتب الكاثوليك والبروتستانت ، وكتب الفرنسيون ، وكتب الإنجليز ، كتب هؤلاء – وهم رجال المسيحية فيما يتعلق بهذا الأمر .

ولقد وضحوا وبينوا أن الكبت الذى كان يغمر أوربا فى ذلك العصر ولّد الانفجار ، واتخذ الانفجار اتجاهاً معيناً ، واتخذ الاتجاه الإنسانى ، وأخذ قادة الحضارة – مبتدئين من هذا الاتجاه الإنسانى – مقررون أن الإنسان له كيانه ، له شخصيته ، له ذاتيته له حدوده ، له تقديراته ، له مكانته التى يجب أن يحتلها الإنسان ، المكانة التى تليق به .

ومن هنا كانت كلمة الإنسان التى تطلق – كرمز مميز – على هذه الحضارة ، ومن هنا كان تمجيد الإنسانية .

ولكن حينما بدءوا يتحدثون عن الإنسان ، فى ثورة عواطفهم القوية وفى غمرة نفورهم الشديد من رجال الدين ، كانت كلمة الإنسانية توحى – عند قادتهم بانفصال الإنسانية عن الإلهية ، أو انفصال الإنسانية عن الكنيسة أو انفصال الإنسان عن الدين ، أو بالتعبير الحديث : انفصال الدين عن الدولة .

يجب أن يكون للإنسان مكانته ، يجب أن يكون له موقفه أمام الدين تجاه الألوهية ، تجاه النص المقدس ، تجاه الكنيسة ، ويجب أن يخضع كل ذلك للإنسان .

فالإنسان له عقله له منطقه ، ويجب أن يسير بهذا العقل ، وبهذا التفكير وبهذا المنطق .

وتصوروا جماعة من الجماعات كانت السيوف مصلتة عليها من جميع النواحى ، ثم انفجرت هذه الجماعة فقضت على السلاح الموجه إلى نحرها ، ماذا يكون تفكيرها بالنسبة لهذا السلاح ، وبالنسبة لحامليه . بالنسبة لهذا المصدر الذى كان سبباً للكبت إن تفكيرها فى أهدأ حالاته يكون معارضاً منتقداً ، ومتحمساً فى معارضته ، وفى انتقاده ولكن يشعر أحياناً بشعور السفاك التَّهم لإسالة الدماء .

هكذا كان الأمر فى بدء الحضارة الحديثة ، لقد أراد زعماؤها ، أن يتخلصوا من الدين ومن رجال الدين ، لتحتل الإنسانية مكانتها بدون معارضة لها أوكبت أو تنكيل .

وحينما أقول « الإنسانية » يختلط الأمر نوعاً ما ، إذ إن معنى هذه الكلمة اكتسب من الدم التى نزلت بالإنسانية فى كثير من فترات التاريخ نوعاً من التقديس وكثيراً من التمجيد والعطف ، ولذلك فإنى دون إخلال بالمعنى سأستعمل كلمة البشرية ، وإذا استعملت كلمة البشرية كان المعنى الذى أريده أدق فيما يتعلق بصلة الثورة الأوربية ، أو الحضارة الأوربية فى بدء نشأتها وفى ثورتها ضد رجال الكنيسة .

كان هناك إذن الدين من جانب ، وكانت هناك البشرية من جانب آخر ، وأرادت هذه البشرية أن تقف فى وجه الدين ، وأن تستقل بنفسها فى وضع أصولها وقواعدها ونظمها ، وأن

تنتهى فى النهاية إلى أن تكون مستقلة كل الاستقلال عن جميع النواحى التى تتعلق بهذا الجانب الروحى .

وتلقت الحضارة أو ممثلو الحضارة ، أو الذين يقومون على الحضارة ، تلقوا يميناً وشمالا الأصول والقواعد التى يمكنهم أن يقيموا عليها نظمهم البشرية وتساءلوا ماذا يمكن أن يحل محل الدين .

إن الدين نظام اجتماعى وتشريعى وأخلاق ، فما الذى يمكن أن يحل محل هذه النظم إذا أردنا أن نتخلص من هذه النظم ، لأنها نظم دينية يقوم عليها رجال الكنيسة ، لا رجال محاكم التفتيش ، وما هى المصادر والمنابع التى نتقى منها إذا أردنا أن يسود الاطمئنان فى المجتمع ؟

أما المصادر فما كان يمكن ، وماكان يتأتى ، إلا أن تكون مصدرين :

١ – العقل فى ناحية ما وراء الطبيعة .

٢ – والضمير من ناحية الأخلاق .

وإذا لجأت الحضارة الحديثة فيما وراء الطبيعة إلى العقل ، ولجأت فى الأخلاق إلى الضمير ، فالعقل : هو الذى يؤسس ما وراء الطبيعة ، والضمير : هو الذى ترجع إليه فى الأخلاق .

ولكن ، تخبط العقل ، لأنه يختلف من إنسان لآخر ، ومن بيئة لأخرى ، ومن زمن لزمن ، ومن مكان إلى مكان ، ومن ثقافة إلى أخرى .

وأخذ الضمير من جانبه أيضاً يوحى بإيحاءات مختلفة ، فالضمير ليس إلا أثراً للبيئة وللوسط الذى يعيش فيه ، ليس الضمير معصوماً قط ، وإنها لفكرة خرافية كون الضمير معصوماً ، والضمير إذ تخلص من سيطرة الدين فإنه يوحى بالفساد ، كما يوحى بالصلاح لأنه ابن البيئة ، فإذا كانت البيئة إجرامية فالضمير إجرامى ، وإذا كانت البيئة صالحة فالضمير صالح ، وإذا كانت البيئة أوربية فالضمير أوربى ، وإذا كانت البيئة شرقية فالضمير شرقى ، ومن الواضح أن ضمير الأوربيين لا يؤنبهم أبداً على السفك الذى يستبيحونه فى كل قطر يسيطرون عليه ، إنه يبيح إذن – لو اتخذناه مقياسا – السفك والتنكيل ، والاستعمار . ليس هناك إذن شىء ثابت مستقر معصوم اسمه الضمير .

وليس هناك قضايا يتفق عليها العقل فيما وراء الطبيعة .

وتخبط العقل . . وتخبط الضمير . فما المخرج إذن ؟

أسطورة التطور الإنسانى :

رأى رجال الحضارة أن يلجئوا إلى شيء يبعد عنهم وصمة العجز ، فلجئوا إلى فكرة التطور ، الإنسان المتطور ، الأفكار المتطورة ، وإذن فالمسألة ليست مسألة خطأ صريح ، وإنما هى مسألة تطور فيما يتعلق بالأفكار ، وفيما يتعلق بالمعانى ، ومادام هناك قانون للتطور إذن لا عيب عليهم إذا أخطئوا أو تخبطوا فى كل مرحلة من مراحلهم ، وفى كل فترة من فتراتهم . . ونادى الحضاريون البشريون بفصل الدين عن الدولة ، وحينما فُصل الدين عن الدولة ، رأت الدولة نفسها تتخبط حينما تستند إلى العقل فى نظمها الدينية والاجتماعية ، وحينما تستند إلى الضمير فى نظمها الأخلاقية فاخترعت أسطورة التطور الإنسانى فيما يتعلق بالفكر .

وكانت كلمة التطور هى الطلسم السحرى الذى يحاولون التعلل به ، لإخفاء عجز العقل والضمير الإنسانى لإخفاء هذا العجز المطلق الذى يجعل الإنسان متخبطاً بعقله فى أمور ما وراء الطبيعة ، ومتخبطاً بضميره فى أمور الأخلاق . لقد أخفوا كل ذلك بفكرة التطور .

ليس فى الأحكام القاطعة تطور :

ولكن إذا نظرنا إلى فكرة التطور فى الدين والأخلاق فما معناها حقيقة ؟ ما معنى فكرة التطور ، إذا أدخلناها فى الفكر على وجه العموم ؟ إن فكرة التطور ما هى إلا عودة إلى السوفسطائية القديمة ، إنها عودة إلى آراء اليونان القدماء ، لأن معنى التطور فى الفكر أنه ليس هناك قضية ثابتة ، وإنما جميع القضايا الفكرية متطورة ، وهذا التطور لا ينتهى إلى حد ، إذن هناك النسبية باستمرار ، وهناك النسبية المطلقة ، وهناك إذن الخطأ المستمر ، وهذا الخطأ لا علاج له مادمنا نقول بالتطور ، لأنه مادمنا نقول بالنسبية وبالتطور فليس هناك الثبات ، وإذن لا يكون هناك ثبات فى الدين ، ولا يكون هناك ثبات فى الأخلاق .

فإذا أدخلنا فكرتهم بالتطور فى الدين فقد قضينا على الدين ، وإذا أدخلنا فكرة التطور فى الأخلاق فقد قضينا على الأخلاق .

وهذه الفكرة التى أتحدث عنها ، فكرة إدخال التطور فى الدين فكرة سمعناها من الكثيرين ، لقد ألِفْنا كلمة التطور ، وألفنا كذلك كلمة إدخال التطور فى الدين إلى درجة أنه يخيل إلىّ وأنا أتحدث فيها ، أن الأمر غريب على بعض الأذهان التى تتساءل لِمَ لا يكون فى الدين تطور .

ولكن إذا فهمت فكرة التطور على حقيقتها ، وإذا فهمت فكرة الدين على حقيقتها كان

لامناص من الإقرار ، بأن الدين لا يدخله أبدًا ، ولا شَرْوَى نقير ، لا ، ولا قلامة ظفر : فكرة التطور .

إن التطور الفكرى تغيير من حال إلى حال ، وهو تغيير مستمر دائم ، إنه تغيير لا ينتابه هدوء ولا سكون ، إنها إذن النسبية ، إنها إذن السوفسطائية القديمة ، إنها عود إلى هذه الفترة القديمة التى لم يمكن فيها دين ثابت ، ولم يكن فيها خلق ثابت ، فالأمر فيهما حينئذ عند السوفسطائيين ليسَ أمراً ثابتاً مطلقاً وليس أمر عصمة ، وليس أمر قضايا محققة ، وإنما الأمر أمر تغيير باستمرار ، وأمر نسبية .

وبذلك يقضى على الدين ، ويقضى على الأخلاق ، وإنه لمن المؤسف حقيقة ، أننا نجد فكرة التطور تتسرب إلى الناحية الدينية ، وإلى المحيط الدينى فى الأقاليم الإسلامية وهذه الفكرة لخطورتها ، ولأنى أعلق على إزالتها كثيراً من الأهمية . أريد أن أضرب بعض الأمثلة حتى نكون على بينة من الأمر .

قرأت فى بعض المجلات مقالا يقول كاتبه إن فضيلة الشيخ (...)

رجل متطور واسع الأفق ، ومن مظاهر تطوره – فى رأى الكاتب – أنه يأبى إلا أن يقيم صلاة الغائب على روح فلان ، وفلان هذا الذى ذكره الكاتب لا يدين بدين الإسلام ، وما من شك فى أن ذلك لا يجوز (إسلامياً) وما من شك فى أن العالم الكبير لا يفعل ذلك ولا يبيحه ولكن ذلك إن دل على شىء ، فإنما يدل على جهل الكاتب بمعنى الحقائق الدينية التى لا تتغير بتغير الأهواء والعواطف ، ويدل من جانب آخر على الخطورة التى يتعرض لها الدين حينما ، تدخله فكرة التطور ، وحينما تتناوله أقلام الذين لا يعقلون دين الله على الوجه السليم .

ومثل آخر :

أننا جميعًا نجلّ الشيخ محمد عبده ، ونحترمه وندين له بكثير من تخليص الدين من الخرافات والأساطير ، ولكن حينما نقرأ له تفسير قصة آدم فنجده يقول : بأنها تمثيل.نتساءل : لِمَ اتجه الشيخ محمد عبده هذا الاتجاه ؟ لِمَ اتجه فى قصة آدم إلى أنها تمثيل ؟ حينما نتساءل حقيقة عن السر العميق – فى الشعور فى اللاشعور – نجد أن الشيخ محمد عبده رأى أن فكرة التطور منتشرة فى جميع أرجاء أوربا ، بل العالم ، وهى فيما يرى – تتعارض هى والتعاليم التى تنبئ أن آدم هو أول البشر ، وهو الذى خلقه الله وسواه ، وخاطب الملائكة فى شأنه وأمرهم أن يسجدوا له .

رأى الشيخ ، محمد عبده أن كل ذلك لا يتلاءم كثيراً مع فكرة التطور المزعومة . فماذا صنع ؟ قرر بأنها قصة ، وأنها تمثيل ، وبذلك يمكننا أن نؤولها كيفما شئنا .

كما رأى الشيخ محمد عبده أن يفسر اختلاف رسالات الرسل وتعاقبها بأنها حسية فى زمن موسى ، فكانت رسالة سيدنا موسى حسية ، ثم تطورت الإنسانية من الحس إلى العاطفة ، فكانت رسالة سيدنا عيسى عاطفية ، ثم تطورت الإنسانية من الحس ، والعاطفة إلى العقل ، فكانت رسالة سيدنا محمد عقلية .

ورأيى أن الإنسانية لم تتطور هذا التطور ، وأن الإنسانية أينما سرنا ، وعند أى فرد رأينا ، وفى أى مجتمع شاهدنا – فإنما يتمثل فيها جوانب ثلاث : الحس ، والعاطفة ، والعقل ، ولكن فكرة التطور ، وأن الإنسانية متطورة انتهت ، بأن أصبحت مسيطرة على الكثيرين فانقادوا لها ، وأدخلوها فى محيط الدين ، فأفسدت كثيراً من القضايا ، ونعود فنترحم على الشيخ محمد عبده ، وإذا كنا ننتقده فلأننا نعلم أنه رحمه الله ، كان من سعة الصدر ومن سعة الأفق بحيث لا يضيق بنقد ، ونعتقد أنه لا يضيق الآن بنقدنا .

لقد حاول كثير من الناس الانسلاخ من آيات الله سبحانه وتعالى لقد حاولوا الانسلاخ منها وهى ملتصقة بهم التصاق جلد الإنسان بالإنسان ، وانسلخوا منها بعد لأى ، وعلى خلاف الفطرة ، وعلى وضع لا يلائم النظام الطبيعى ، وانسلخوا بذلك من محيط الألوهية ، إنهم خرجوا عن سرادق الألوهية ، وخرجوا عن أن يكونوا من عباد الله فتهيئوا بصنيعهم هذا ليكونوا من أتباع الشيطان ، وسهل على الشيطان غزوهم فغزاهم بخيله ورجله فكانوا من الغاوين ، ولو شاء الله لرفعهم بآياته ، ولكن العيب جاء منهم هم إذ أخلدوا إلى الأرض .

وما من ريب فى أن الإخلاد إلى الأرض فى أبشع صورة هو الشيوعية (واتبعوا أهواءهم).

وما من شك فى أن اتباع الهوى فى أسمج صورة هو الفلسفة الوجودية سواء كنا بصدد الشيوعى ، أو بصدد الوجودى فمثله كمثل الكلب إن تحْمِل عليه يلهث أو تتركه يلهث . ولكن لم يلهث سواء أحملت عليه أم تركته .

إن الشيوعى ليس همه إلا المادة والإخلاد إلى الأرض ، ومهما بسط الله له فى الرزق فهو ضيق بذلك ، وإذا ضيق الله عليه فى الرزق ، فهو ضيق بذلك أيضا ، إنه لا يطمئن إلى شىء روحى يقنعه ، والمادة – مهما أوتى الإنسان منها – فإنها ما دام جشعاً ، لا تنتهى إلى إرضائه ، وكذلك الأمر فيما يتعلق بالوجودى .

فإنه وقد آثر اتباع الهوى – وليست الوجودية إلا إيثار اتباع الهوى – فإنه لا يعتمد على هادٍ يطمئنه ، ولا على اطمئنان يسكنه ، وهو ضيق بالحياة ذرعاً ، سواء كان سعيداً أو شقيًّا ، فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث .

انتهت الحضارة إلى أمثال هذه النظم التى لا ترى إلا المادة ، أو لا ترى إلا البشرية الهاوية أو الغاوية ، وانتهى الأمر بالشيوعى والوجودى إلى ماكان لا مفر من أن ينتهى إليه ، وهو انفصال الشيوعى وانفصال الوجودى عن المحيط الإلهى عن السرادق الإلهى .

مما لا شك فيه ، أن هذه النظم التى لا تتصل بالعصمة إنما تتخبط وتكون باستمرار متأرجحة متقلبة ، ولا تستقر باستقرار نسبيًا إلا بالحديد والنار والسلاح ، وبسفك الدماء ، وبالقتل ، وأن ماوراء الستار الحديدى يمكن أن يكون صورة لكل هذا الانفصال ، عن الألوهية ، الذى لا يستقر إلا بالحديد والنار .

تلك أسس الحضارة ومنابعها ، ومصادرها : عقل ، فضمير ، فتطور ، فانتهاء إلى أمثال هذه النظم التى خرجت بالإنسان عن الجادة .

والدين إذن لا يعارض التقدم فى سبيل إسعاد البشرية ، هذه قضية نحن مسلمون بها .

الإسلام :

نريد أن نتحدث عن الإسلام ، وتكفينى كلمة « الإسلام » تكفينى هذه الكلمة للدلالة على أن هذا الدين صحيح ، منزّل من عند الله ، إنّ معنى الإسلام الاستسلام لله فى كل مظهر من المظاهر ، وفى كل حركة من الحركات ، وفى كل أمر من الأمور ، ويصور المعنى لهذا التعبير الرائع الآية القرآنية الكريمة : (قل إنّ صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ، لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) .

إن هذا التصوير للإسلام فى هذه الآية الكريمة رائع حقًا .

استسلام لله ، أى دخول فى النطاق الإلهى ، وابتعاد عن الهوى والشيطان ، إنه إسلام الوجه لله ، فرق كبير بين هذا وبين الخروج عن النطاق الإلهى بالشيوعية أو بالوجودية .

وفيما يتعلق بالإسلام هناك النظم المعصومة ، هناك الأخلاق المعصومة والتشريع المعصوم ، هناك إذن العصمة كاملة ، ولكن الاستسلام لله يقتضى شيئًا آخر هو الجهاد ، والكفاح المستمر من أجل الحق والخير وإعلاء كلمة الله ، فإذا لم يكن هناك جهاد من أجل الإسلام فلا إسلام ، ومن لم يجاهد من أجل إسلامه فليس بمسلم ، هناك إذن الجهاد ، وهناك الاتجاه إلى جعل الإنسان ربانيًا أو إلهيًا .

ولكن ما هى السبيل التى رسمها الإسلام لجعل الإنسان ربانيًا

١ – ضمن الله الرزق .

٢ – وحدد الآجال .

(وفى السماء رزقكم وماتوعدون) وضعفنا وانشغالنا بالرزق والحرص عليه أكد الله ضمانه بقوله تعالى : (فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون) وحدد الآجال ، وضرب لذلك أوضح الأمثال ، فلو فرضنا أن إنساناً فى برج مشيد وكتب عليه القتل ، لخرج من هذا البرج المشيد إلى القتل : (ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنةً نعاساً ، يغشى طائفة منكم ، وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظنَّ الجاهلية ، يقولون هل لنا من الأمر من شىء قل إن الأمر كله لله ، يخفون فى أنفسهم ما لا يبدون لك ، يقولون لوكان لنا من الأمر شىء ما قتلنا ها هنا ، قل : لوكنتم فى بيوتكم لبرز الذين كُتِب عليهم القتل إلى مضاجعهم ، وليبتلى الله ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم ، والله عليم بذات الصدور) .

فإذن الآجال محددة والأرزاق مضمونة ، فماذا بعد ذلك إلا اتجاه إلى الله كلية وبكل ما تملك وما تحس ، وبكل ما تشعر .

وليس الاتجاه إلى الله كسلا ، فالأعمال عبادة مادمت متجهاً بها إلى الله .

حركاتك وسكناتك وأنفاسك إذا اتجهت بها إلى الله فهى عبادة ، فالعامل فى معمله إذا اتجه بعمله إلى الله فهو عابد ، والصانع فى مصنعه عابد ، إذا كان متجهاً بعمله إلى الله ، ومن كانت هجرته إلى الله ورسوله بعمله وصناعته وحركاته وسكناته ، فهجرته إلى الله ورسوله ، والله يثيبه على ما فعله . إذا كان الله قد ضمن الرزق ، وحدد الآجال ، فليس هناك مطلقاً عذر من الأعذار للمسلم لأن يتخاذل وأن يتكاسل وأن يتواكل .

والصورة المثلى فى ذلك ، إنما هى صورة محمد صلوات الله عليه وسلامه فى كفاحه الذى لم يفتر ، وجهاده المستمر ، وهى صورة للمتأسين به يجب أن تحتذى ، ولكن لِمَ الجهاد ؟ ولِمَ الكفاح ؟

هناك رسالة إسلامية ونحن مكلفون بها ، ونحن لا نقول الأزهر فحسب هو المكلف بها ، إنما نقول : إن كل مسلم مكلف بهذه الرسالة .

وهذه الرسالة الإسلامية تصورها الآية الكريمة : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) .

والرحمة بالإنسانية : إنما هى إخراجها عن دائرة الشيطان إلى دائرة الله سبحانه وتعالى . إخراجها عن التناحر ، وعن التنازع من أجل المادة إلى السمو فى آفاق الإخوة ، وفى آفاق الرحمة الشاملة العامة ، هذه الرسالة الرحيمة الرحمانية التى حددها الإسلام بنظمه ومبادئه هى التى كُلفنا بها ، وكنا خير أمة أخرجت للناس من أجلها ، إذا لم نقم بها فى وجه الحضارة الحديثة لا نكون

مسلمين ، أو على الأقل فى عملنا السلمى من الذين يتأسون بصاحب الرسالة الإسلامية ، ولـن يكون لنا إلا الفخر بأننا من حملة الرسالة الرحمانية رسالة الرحمة المهداة .

اعتزاز المسلم بدينه :

والواقع أن المسلم يجب أن يفخر حقيقة بدينه وبنظمه وبرسوله ، وبأمته ودون أن نريد موازنة فى قليل ولا كثير ، نرى أن هذا الشيخ الوقور سيدنا نوح عليه السلام الذى عاش فى قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً ، يدعوهم إلى الله ، انتهى به الأمر فى هذه الفترة الطويلة بأن كانت كل الحصيلة مجموعة حُملت فى سفينة .

وإذا جئنا إلى سيدنا موسى نجد أنه حين أراد القتال قال له قومه : (يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ماداموا فيها ، فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) .

ومن الصور القرآنية الطريفة جداً ، أن سيدنا موسى بعد أن جاهد فى قومه هذا الجهاد بالدعوة والإرشاد والنصيحة تركهم فترة وتقدمهم قليلا ، فخاطبه الله بقوله :

(وما أعجلك عن قومك يا موسى ، قال : هم أولاء على أثرى وعجلت إليك رب لترضى) فذكر كليم الله ، أن قومه هم أولاء على أثره ، ولكن الشوق والحب حمله على ذلك :(وعجلت إليك رب لترضى) وجميل هذا لكن انظروا إلى التربية الحكيمة فى الأسلوب المهذب هذا الأسلوب الذى كأنه يقول : إنك لم تحكم أمر الدعوة من ورائك ، وإن إحكام أمر الدعوة إنما هو لقاء الله : (قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامرىُّ ، فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً) .

وإذا جئنا إلى عيسى ، فإننا نجد أن سيدنا عيسى صلوات الله عليه وسلامه حين رفعه الله إليه ، لم يكن هناك من يقر برسالته ، إلا بضعة أفراد يُعدّون على الأصابع ، أو يُعدّون بالعشرات ، وأكبر تقدير لأتباع سيدنا عيسى أنهم كانوا ثلثمائة .

أخذ سيدنا موسى قومه من مصر فاراً بهم ، ولم يقاتل ، ولم يجاهد ، وحين أدركه فرعون لم يتوجه إلى القتال وإلى الجهاد ، وإنما توجه إلى الله ، فأمره بضرب البحر بعصاه ، فضرب البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ، ومرَّ موسى وقومه آمنين دون جهاد ودون كفاح .

وسيدنا عيسى لم يتوجه إلى القتال ولا الكفاح ، فى سبيل إعلاء كلمة الله التى هى الحق والخير .

ولكن إذا جئنا إلى سيدنا محمد ﷺ ، فإننا نجد مباشرة العزم المصمم ، والإرادة النافذة .

يجب أن يدين العالم لله ، وأن يسلم وجهه لله ، لتلك الرسالة الإسلامية ويجب أن يقف محمد صلوات الله عليه – ولو بمفرده – فى وجه العالم كله ، فى وجه الكون بأكمله ، فى وجه هذه الدنيا .

يجب أن يدين العالم ، يجب أن تدين السماء والأرض ، وأن يدين البشر بأجمعهم لرسالة السماء ، ووقف سيدنا محمد يجاهد ويجالد ويكافح ويتخطى العقبات ويتغلب على الصعوبات إلى أن انتهى به الأمر إلى النصر الكامل بالكفاح فى سبيل الحق ، الكفاح إذن جزء لا يتجزأ من الرسالة الإسلامية ، إنه الكفاح من أجل الله لا من أجل مادة الشيوعيين ، الكفاح من أجل الله لا من أجل أهواء الوجوديين ، إن الرسالة الإسلامية رسالة رحمة ورسالة كفاح من أجل الرحمة ، ورسولها خير معبر عنها بسلوكه ومواقفه ، فمن لم يتأسَّ بالرسول ، ومن لم يكافح فى سبيل الإسلام فليس له أن يفخر بأنه مسلم فضلا عن أن يزعم أنه مسلم مثالى :

تغلب محمد رسول الله ﷺ على كل عقبة ، وزلزل كل صعوبة ، وحطم كل صنم ، وانتهى به الأمر إلى أن شاهد ارتفاع الأذان الإسلامى فوق الكعبة ، وفى مكة التى كانت تأبى كل الإباء أن تدين لله ، وأن تسلم وجهها إلى الله وحده .

ومهمتنا جميعاً إذن هى مهمة الرسول العظيم تحطيم الأصنام ، صنم الشهرة والهوى المتغلغل فى النفس ،وتحطيم صنم المادة ، ونشر رسالة الحق والرحمة حتى ننتهى من كل ذلك بأن يسلم العالم وجهه إلى الله .

فإذا انتهينا إلى ذلك ، أو إذا ما حققناه كنا فى رضوان الله ، وكنا من هؤلاء الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه .

وإنى لأرجو فى النهاية أن يتكاتف المخلصون فى العالم الإسلامى ويتساندوا ، ليقفوا أمام هذا الزحف المتتابع من المدنية الغربية التى تريد أن تطمس الإسلام فى أهدافه ، وفى نظمه ، وفى تعاليمه ، وفى أقدس مقدساته ، وإذا أمكن أن يتكاتف المخلصون فإن الأمر سينتهى بالنصر ، أما إذا لم يتكاتفوا فإن ذلك لا يعفى كل مسلم – منفرداً من العمل الجاهد فى سبيل إعلاء كلمة الله ، والعمل على سيادة المبادئ الإسلامية ، ففيها سعادة العالم إن شاء الله تعالى . .

تحديد النسل فكرة منكرة

لم تظهر هذه الفكرة المنكرة إلاّ فى العصور الحديثة ، وأراد أنصارها تبريرها فلجئوا إلى الحديث عن موضوع (العزل) وليس لموضوع (العزل) بها من صلة ، إن موضوع العزل مثله

كمثل الامتناع عن النسل بالنسبة للأم المريضة التى يضرها الحمل ، أترى أن الامتناع عن الحمل بالنسبة للأم المريضة يأتى برهاناً فى باب إباحة تحديد النسل ؟ هناك المرض الجسمانى . . إنه لا يتخذ حجة إباحة تحديد النسل ، وهناك الإرادة الحكيمة عند كثير من الناس الحرص على شرف الأنساب ، أو بتعبير مناسب ، فى الحرص على صحة الأنساب ، أى على ألا تكون الأنساب مريضة .

والغالبية العظمى من الجوارى لا يعرف لهن أنساب فأبيح « العزل » بالنسبة للجوارى حرصاً على النطفة من أن تصل إلى خضراء الدِّمن ، سواء كانت خضراء الدِّمن من الأحرار أو من الجوارى ، يقول رسول الله ﷺ : « إياكم وخضراء الدمن . قالوا : وما خضراء الدمن ؟ قال : المرأة الحسناء فى منبت السوء » . وكانوا يعزلون تخيراً لنطفهم .

يقول رسول الله ﷺ : « تخيروا لنطفكم فإن العرق دسّاس » . إن فى بنى البشر أناساً يتطهرون ، ومن تطهرهم أن يحرصوا على الفضيلة فى أنفسهم ، ويحرصوا على أن يهيئوا جوَّ الفضيلة لأبنائهم قبل أن يُولدوا ، وبعد أن يولدوا ، ومن هنا كان حرصهم على أن يظفروا بذات الدين ، فإذا لم يتهيأ لهم ذلك فإنهم لا يجدون بأساً فى الامتناع عن الإنجاب حتى يهيئ لهم الله الجو المناسب للإنجاب ، فإذا ما تهيأ الجو المناسب للإنجاب – وهذا ما نرجو أن ينتبه إليه المؤيدون لتحديد النسل – فإنهم ينجبون بدون حساب – شاكرين الله على نعمته – لا يحددون نسلا ، فإنهم ينجبون ولا ينظمون نسلا ، لا صلة إذن للعزل بموضوع تحديد النسل ، وكان الصحابة رضوان الله عليهم ، حين يطمئنون إلى شرف الجوارى لا يعزلون ، كما حدث ذلك بالنسبة لبنات كسرى ، وقد أنجبن الشرفاء والنجباء . هل سمعت عن أحد من الصحابة حدد النسل لضيق ذات اليد ؟ أين إذن قول الله تعالى : (وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها) وأين إذن : (وفى السماء رزقكم وما توعدون) ، ثم القسم الإلهى على ذلك : (فورب السماء والأرض إنه لحق) ويلجأ أنصار تحديد النسل – فى مصر – دائماً ، إلى رقعة الأرض المصرية . . المزروعة ويحددونها (بالمتر) (والسنتيمتر) ، ويحددون ما تكفيه هذه الرقعة من أفواه ، ويحسبون ذلك بالعقل (الإلكترونى) ، وإنهم لمخطئون .

أولا : إنّ الصحراء يمكن أن تُقهر أو تذلَّل وأن تصبح ثروة ضخمة لو وجدت الإخلاص لله وللوطن ، لو وجدت أذكياء قد تخلوا عن الخمول ، لووجدت رجالا ينظرون إلى مصر محبين لها عاملين من أجلها ، وخذ أمثلة من كل قارة فى العالم فستجد من زرعوا الصحراء بزراعات مناسبة ، وتغلبوا عليها . . إن أشجار الزيتون مثلا تصبر على الماء ثلاث سنوات ، هل فكرنا فى

زراعة الزيتون ، وليس فى أراضينا أرض لا ينزل فيها المطر ، لا صيفاً ولا شتاء ثلاث سنوات متوالية إلا فى النادر المحدود ، إن أقاليم « بتونس » لا تنزل فيها الأمطار إلا نادراً ، لقد زرعتها « تونس » زيتوناً ، وأصبح الزيتون فى تونس من المصادر الرئيسية للثروة ، ويستطيع خبراء الزراعة أن يحدثوك عن إمكانات لاحد لها فيما يتعلق باستثمار الصحراء .

هل قرأت كتاب (الصحراء ثروة وثورة) إن مؤلفه يؤكد أنه من الممكن زراعة سبعين مليوناً من الأفدنة فى مصر ، لابد من أن ينتفض رجال مصر انتفاضة مؤمنة بمصر وبمستقبل مصر ، ويجب أن يفكروا فى جدّ وإخلاص فى تذليل الصحراء وقهرها ، وفى الاستفادة بكل قطرة من مياه النيل ، وفى طرق الرى الحديثة . وفى وسائل الإخصاب الزراعى الكثيرة . وفى عصر مزدهر لمصر الزراعية .

ومع كل ذلك فإننا نقول مع القائلين المخلصين الصادقين إن الاتجاه فى مصر إلى الزراعة قصور فى التفكير ، بل هو قصور المستعمر ولم نتخلص منه إلى الآن . إن المستعمر أراد لمصر أن تقبع بين حدود معينة من الأراضى الزراعية التى لا تنطلق منها إلى بقية البقعة الأرضية الصحراوية لتظل محدودة الدخل ، محدودة الإمكانيات ، محدودة التأثير فى العالم ، لا دور لها بين الأمم .

واستجاب لذلك عملاء الاستعمار ، فوجهوا الأنظار دائماً إلى خمسة ملايين من الأفدنة ، هى الأرض الزراعية فقط ، وأعلنوا أن لا مجال فى غيرها ، وتركوا النيل يصب فى البحر ، ووجه المستعمر اهتمامه إلى الزراعة فقط ، إن مصر – فيما رأى المستعمر – بلد زراعى ، لا شأن له بالصناعة ، وليست مصر بجو صالح للصناعة ، إن الصناعة تحتاج إلى مواد خام ، وليس بمصر من هذه المواد الخام ما يفى بمتطلبات الصناعة . واستجاب عملاء الاستعمار إلى هذا التوجيه ، وأعلنوا – كما أعلن المستعمر – أن مصر بلد لاتصلح فيه الصناعة ، وردد عملاء الاستعمار هذا الإعلان بحجة المستعمر بأنه ليس فى مصر مواد خام .

وكل مصرى يعلم أنّ هذا كله باطل ، وأن المواد الخام أو معظمها موجودة بمصر ، وأن مصر بلد صناعى ، بمقدار ما هو زراعى ، ومع كل ذلك فقد بدأ « البترول يسيل شيئاً فشيئاً ، وبدأت الآمال عريضة فى تيسير الله تعالى لتدفقه .

تحديد النسل ! ! إنها فكرة منكرة ! !

وهى إذا اتخذت الأساس « ضيق ذات اليد » فإنها فكرة تخالف الدين ، يحرِّمها الدين ، وأقولها بالصوت الجهير ، وأكتبها بالخط العريض ، إنها فكرة ليست فى مصلحة مصر .

ويمكن أن نقول مع الدكتور على عبد الواحد عميد علم الاجتماع فى مصر : (إن مشكلة مصر قلة النسل) .

وعلى ذلك : فإن ما ينفق على مراكز تنظيم النسل يجب أن ينفق على شىء نافع ويجب أن تغلق هذه المراكز : اللهم إنى قد بلغت ، اللهم فاشهد .

القرآن مصدر الهداية

ولابد هنا من كلمة إلى كل مسئول فى الدولة : إن القرآن الكريم هو مصدر هدايتنا وأساس نجاحنا دنيا وأخرى ، ومهما اختلفنا فى أمر من الأمور ، فإننا لا نختلف فى النتيجة السعيدة التى تثمرها العناية بالقرآن الكريم ، للفرد ، وللأسرة ، وللمجتمع .

(إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم) التى هى أقوم فى العقيدة ، والتى هى أقوم فى الأخلاق ، والتى هى أقوم فى التشريع ، والتى هى أقوم فى نظام المجتمع .

وإن من مفهوم الإيمان عند كل مؤمن ، اليقين بذلك ، ولا يختلف المؤمنون فى شىء من هذا أبداً ، وتعاليم القرآن – فى كل زاوية من زوايا الحياة هى الصراط المستقيم ، خذ مثلا العلم والحث عليه : العلم بالله ، وبالكون ، وبالأرض والسماء ، وبما بين الأرض والسماء ، فستجد أروع ما قيل فى الحث على طلب العلم . خذ مثلا الأمانة : تجد القرآن يدخلها – كجزء لا يتجزأ – فى مفهوم الإيمان ، يقول صلوات الله وسلامه عليه : « لا إيمان لمن لا أمانة له » . خذ الشورى ، خذ الجهاد ، وخذ الإعداد للجهاد ماديًا ومعنويًا . خذ العمل والضرب فى الأرض ، والسعى فى مناكبها ، وخذ أروع الأخلاق الإنسانية العالمية من :

الرحمة : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) .

العدل ، والإحسان : (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) .

ومفهوم الإيمان الصادق ، ما هو؟

(إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ، ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، أولئك هم الصادقون).فإذا أردت بياناً لهذه الآية الكريمة ، فى شىء من التفصيل فستجد: (قد أفلح المؤمنون ، الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون ، والذين هم لفروجهم حافظون إلاّ على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم ، فإنهم غير مَلُومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ،

والذين هم على صلواتهم يحافظون ، أولئك هم الوارثون ، الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) .

وسنجد : (إنما المؤمنون الذين إذا ذُكر الله وَجِلَتْ قلوبهم ، وإذا تُليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون ، الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، أولئك هم المؤمنون حقًّا) .

وسنجد : (وعبادُ الرحمن الذين يمشون على الأرض هَوْناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ، والذين يبيتون لربهم سُجَّداً وقياماً ، والذين يقولون ربنا اصرف عنّا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما ، إنها ساءت مستقرًّا ومقاما ، والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً ، والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ، ولا يقتلون النفس التى حرَّم الله إلا بالحق ، ولا يزنون ومَن يفعل ذلك يَلْقَ أثاماً ، يُضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيها مُهاناً إلاّ من تاب وآمن وعمل عملا صالحاً فأولئك يُبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً ، ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً ، والذين لايشهدون الزور وإذا مرُّوا باللغو مرُّوا كراماً ، والذين إذا ذُكّروا بآيات ربهم لم يَخِرُّوا عليها صُما وعُمياناً ، والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قُرَّة أعين واجعلنا للمتقين إماماً ، أولئك يُجزون الغرفة بما صبروا ويُلَقَّوْنَ فيها تحية وسلاماً ، خالدين فيها ، حَسُنت مستقرًّا ومُقاماً) .

وسنجد الخلق أسمى ما يكون الخلق ، وستجد التشريع المعصوم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وسنجد العقيدة أصدق ما تكون العقيدة .

إن الله سبحانه وتعالى يقول : (وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلا) لقد تمت صدقاً فى العقيدة والأخلاق ، وتمت عدلا فى التشريع ونظام المجتمع إنها تمت صدقاً فى جميع أجواء الصدق وتمت عدلا فى جميع أجواء العدل .

وهى – فى صدقها – خالدة أبدية ، وكلها متضمنة فى القرآن الكريم ، وفيما بينه من سنة رسول الله ﷺ وسيرته .

وإذا كان الأمر كذلك فما بال قومنا اتخذوا هذا القرآن مهجوراً ؟

إن الكثيرين – من كبار المسئولين ، لا يؤدون للقرآن ما ينبغى له ، وإن الكثيرين من كبار الأثرياء ، لا يؤدون للقرآن ما ينبغى له ، وإن الكثيرين من كبار المثقفين لا يؤدون للقرآن ما ينبغى له ، وستنتهى حياة كل هؤلاء فى يوم من الأيام ولن ينفعهم جاههم ولاثراؤهم ولا ثقافتهم ، إلى هؤلاء جميعاً نقول : (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ، إنّ الله

خبير بما تعملون ، ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، أولئك هم الفاسقون ، لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة ، أصحاب الجنة هم الفائزون ، لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله ، وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ، هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ، هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ، سبحان الله عما يشركون ، هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى ، يسبِّح له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم) .

وما من شك فى أن هناك صفوة من المتقين لهم عناية بالقرآن ولكن الجمعيات التى تعنى بالقرآن تعانى من بخل الأثرياء ، ومن تعويق المسئولين ما تعانى .

وهناك مجموعة – قليلة – من المحافظين تتجه مشكورة إلى العناية بالقرآن ولكنها تخطو فى خطوات بطيئة ، أما وزارة التعليم فإنها فى حقيقة الأمر المجال الخصب والحقل المثمر لو اتجهت نحو القرآن الكريم بعزيمة صادقة .

وإن كل من يتجه إلى العناية بالقرآن الكريم ، فى وزارة التعليم فإن الله سبحانه وتعالى سيجزيه خير الجزاء ، فى نفسه وفى أسرته ، (إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا) ولن ينفع الأثر الشح بمالهم فى هذه الحياة ، ولا فى الحياة الأخرى ، ولقد شح الأثرياء بأموالهم عن إنفاقها فى سبيل الله والعناية بالقرآن ، وتقوية الشعور الدينى – شعور الاستمساك بالكتاب والسنة – فدارت عليهم دائرة مصادرة الأموال وقع الحريات ، والتعذيب والتنكيل والخسف وباءوا بالخسران والحسرة .

لقد التقى أحد كبار الأثرياء يوماً بشيخ من شيوخنا الصالحين ، فنصحه هذا الشيخ بأن يقدم لله ولآخرته بناء معهد دينى للقرآن الكريم وللعلم الشريف ، فأبى الثرى ، صاحب الضياع الواسعة والآلاف من الأفدنة ثم . . . ثم كان ما يعلمه كل ثرى ، شح بماله فى سبيل الله .

(يأيها الذين آمنوا اتقوا الله ، ولتنظر نفس ما قدمت لغد ، واتقوا الله) ولعلك تتساءل : ما بال الأزهر لا يرعى هذا الجانب ؟

والواقع أن الأزهر يعنيه – فى الدرجة الأولى – إنشاء معاهد تخرج العلماء الذين يقفون سداً منيعاً ، يصد كل تيار منحرف ، إن الأزهر يجب أن يكون له فى كل قرية معهد ابتدائى وآخر إعدادى ، ويكون له فى كل بلدة معهد ابتدائى وآخر إعدادى وثالث ثانوى ، أما المدن وعواصم المحافظات ، فإن الأزهر يجب أن يكون له فى كل حى معاهد من كل نوع مما تقدم ، ولكن يحول دون ذلك قصور ميزانيته .

إن من أنفس أعمال الخير – التى يباركها الله سبحانه وتعالى ورسوله – إنشاء هذه المعاهد ، لما يرجى منها فى نشر الوعى الدينى وإحياء التراث الروحى حقًّا ، إن كثيرين من أفراد الأمة المصرية – جزاهم الله خيراً – قد اتجهوا إلى بناء المساجد ، وهو عمل يشكرون عليه ، وإن من الأعمال العريقة فى الخير إنشاء المعاهد لتحفيظ القرآن وتعليم العلم فإذا اتجه الخيرون إلى إنشاء هذه المعاهد فإن ذلك يكون دليلا على الأخذ بأسباب الإصلاح المثمرة .

وأحب أن أقول للعاملين على الإصلاح : إن من وسائل الإصلاح الأخلاق الحاسمة أن ينتشر الوعى الدينى فى استفاضة ، ولن يتأتى ذلك إلا إذا أكثرنا من المعاهد الدينية الأزهرية . . . ونضرع إلى الله تعالى مخلصين أن يوجه الخيِّرين إلى ذلك .

الإسلام لكل زمان ومكان

الإسلام على الحقيقة ، كما يقول الإمام البخارى هو الذى يؤخذ من قوله تعالى : (قالت الأعراب آمنا ، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) .

أما إذا كان على الحقيقة فهو على قوله جل ذكره : (إن الدين عند الله الإسلام) . وعلى قوله سبحانه : (ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه) .

الإسلام – الدين الخالص – يقول عنه « الراغب الأصفهانى » إنه فوق الإيمان ، وهو – مع الاعتراف – اعتقاد بالقلب ، ووفاء بالفعل ، واستسلام لله فى جميع ما قضى وقدر ، كما ذكر عن إبراهيم عليه السلام فى قوله : (إذ قال له ربه أسلم قال : أسلمت لرب العالمين) وقوله تعالى : (إن الدين عند الله الإسلام) وقوله : (توفنى مسلماً) أى اجعلنى ممن استسلم لرضاك ، ويجوز أن يكون معناه : اجعلنى سالماً عن أسر الشيطان ، حيث قال : لأغوينهم أجمعين إلاّ عبادك منهم المخلصين .

وقوله : (إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون) ، أى منقادون للحق مذعنون له . (يحكم بها النبيون الذين أسلموا) أى الذين انقادوا من الأنبياء ، الذين ليسوا من أولى العزم (من الرسل) الذين يهتدون بأمر الله ، ويأتون بالشرائع . وهذا المعنى الذى ذكره صاحب المفردات ، يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمعنى اللغوى لكلمة إسلام .

يقول : ابن الأنبارى : « المتوفى سنة ثلاثمائة وثمان من الهجرة » فى المعنى اللغوى للكلمة : (المسلم : معناه المخلص لله فى عبادته ، من قولهم سلم الشىء لفلان : خلص له ، فالإسلام معناه : إخلاص الدين ، والعقيدة لله تعالى) .

وسواء نظر الإنسان إلى المعنى الشرعى للكلمة ، أو إلى المعنى اللغوى فإنه يجد أن هذا اللفظ لا يشير :

١ – إلى شخص معين ، كما تشير (البوذية) مثلا إلى بوذا ، والزرادشتية إلى زرادشت .

٢ – ولا إلى شعب معين ، كما تشير (اليهودية) إلى شعب بذاته .

٣ – ولا إلى (إقليم) أو بلد معين ، كما تشير (النصرانية) والدين الذى يدل أو ينتسب أو يشير إلى شخص معين أو إلى شعب معين ، أو إلى إقليم معين ، يتحدد زمنه ، ضرورة بابتداء الشخص أو الشعب ، ويتحدد بالمكان ، ولكن كلمة « الإسلام » لا تدل على زمان ولا مكان فهى لا تشير إلى زمن يحدها . ولا إلى مكان تتقيد به .

وتضعنا هذه الكلمة – مباشرة – فى جو عالمى ، مطلق ، بل فى جوّ عالمى ، يتخطى حدود هذا العالم الأرضى – إذا أمكن ذلك فلا يتقيد به ، ولا يتحدد بحدوده .

إنها لا تحد بالبعثة المحمدية ، فسيدنا نوح عليه السلام يقول لقومه :

(فإن توليتم فما سألتكم من أجر ، إن أجرى إلا على الله ، وأمرت أن أكون من المسلمين) وسيدنا إبراهيم يقول عنه القرآن الكريم : (ما كان إبراهيم يهوديًّا ولا نصرانيًّا ، ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين) .

وحينما كان سيدنا إبراهيم يرفع القواعد من البيت ، هو وسيدنا إسماعيل أخذا يدعوان الله سبحانه قائلين :

(ربنا تقبل منا ، إنك أنت السميع العليم ، ربنا واجعلنا مُسلمَيْنِ لك ومن ذريتنا أُمَّة مسلمة لك ، وأرنا مناسكنا ، وتب علينا ، إنك أنت التواب الرحيم) .

ولم ينس سيدنا إبراهيم ، وسيدنا يعقوب أن يوصيا بنيهما بالإسلام ، يقول تعالى : (ووصى بها إبراهيم بنيه ، ويعقوب ، يابنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) .

وحينما حضر سيدنا يعقوب الموت قال لبنيه مستفسراً ليذهب إلى ربه مطمئناً : (ما تعبدون من بعدى قالوا : نعبد إلهك ، وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون) .

وقال سيدنا موسى لقومه : (ياقوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين) وسيدنا يوسف يتجه إلى الله بالحمد والشكر والدعاء (ربِّ قد آتيتنى من المُلك وعلَّمتنى من تأويل الأحاديث ، فاطر السموات والأرض أنت ولى فى الدنيا والآخرة ، توفنى مسلماً وألحقنى بالصالحين) .

وأوحى الله إلى الحواريين أن : (آمنوا بى ، وبرسولى قالوا : آمنا واشهد بأننا مسلمون) ولما أحس عيسى من قومه الكفر سألهم قائلا :(من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنّا مُسلمون) على أن تسمية أتباع الدين الإسلامى – فى العصر الحاضر – بالمسلمين كانت تسمية سابقة على وجودهم الزمنى ، فلقد بيّن الله سبحانه فى آية من القرآن بعض جوانب الرسالة الملقاة على عاتق الأمة الإسلامية وأشار فيها إلى سيدنا إبراهيم ، وهى آية التوجيه الإلهى الذى يجب أن يكون شعار كل مسلم ، فقال سبحانه : (وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ، ملة أبيكم إبراهيم ، هو سمّاكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسولُ شهيداً عليكم ، وتكونوا شهداء على الناس ، فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم ، فنعم المولى ونعم النصير) .

ومن البديهى أن يكون الإسلام بهذه المكانة من العموم والشمول فى المكان ومن عدم التحديد بالبعثة المحمدية ، فإن أساسه لا يختلف فيه اثنان ، وإن مبادئه الجوهرية حينما تعرض على النفوس المخلصة لا تجد إلا القبول والإذعان .

فى أساس الإسلام وجوهره

القرآن يعرض الإسلام – فى أساسه وجوهره – فى كلمات قليلة لا مناص من الإيمان بها عندما يوجد الإخلاص ، يقول تعالى آمراً رسوله الكريم :

(قل إنما يُوحَى إلىّ أنما إلٰهكم إلٰه واحد فهل أنتم مسلمون) ويأمره ﷺ فى خطابه مع أهل الكتاب أن يقول لهم : (قل : يٰأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألاّ نعبد إلاّ الله ، ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولّوا فقولوا : اشهدوا بأنّا مسلمون) .

ويبين الله لهم سبحانه وتعالى إحدى علامات الصادقين والمرسلين مفرقاً بهذه المناسبة بين الكفر والإيمان فيقول :

(ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحُكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلّمون الكتاب وبما كنتم تدرسون . ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً ، أيأمركم بالكفر بعد إذْ أنتم مسلمون) .

ويبين الله فى عموم شامل وفى شمول عام ، فى صورة استفهام تقريرى – جوهر التدين فيقول سبحانه : (ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن) .

ومن هذه الآيات السابقة ، نعرف أن جوهر الإسلام هو :

١ – فى العقيدة : إسلام الوجه لله ، ومعنى إسلام الوجه لله ، الإيمان بوحدانيته ، كما ترشد الآية الأولى ، مما أردناه سابقاً ، ووحدانيته سبحانه تقتضى ألا نعبد إلا الله ، ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أربابًا .

إنها تقتضى ألا نتخذ الملائكة والنبيين أرباباً ، وتقتضى أن نكون ربانيين ، والربانية فى العقيدة أن يكون الله وحده هو المقصود والمرجو .

٢ – أما فى الأخلاق : فإن جوهر الإسلام هو الإحسان ، والربانية كما تكون فى العقيدة فإنها تكون فى الأخلاق ، والربانية فى الأخلاق أن يتخلق الإنسان بالأخلاق التى أمر الله بها .

والإسلام إذن كلمة شاملة لإسلام الوجه لله ، وللإحسان ، والإحسان فى الحقيقة : يؤسس على إسلام الوجه لله ، وينبع منه ، فإسلام الوجه لله فى النهاية هو : الإسلام .

ولن يتأتى أن يعارض أحد أو يرفض إسلام الوجه لله ، إلا هؤلاء الذين خلت قلوبهم من معنى التدين ، ومن البديهى إذن أن الإسلام هو إسلام الوجه لله ، وهو طريق الهداية .

(فمن يرد الله أن يهديه ، يشرح صدره للإسلام) .

ومن شرح الله صدره للإسلام – إسلام وجهه لله – فهو على نور من ربه .

(أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله ، أولئك فى ضلال مبين) .

ومعنى إسلام الوجه لله قد فسره الله سبحانه وتعالى حينما وضع ذروته ممثلة فى شخص الرسول ﷺ ، إذ يقول :

(قل : إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ، لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) .

ولعل أول آية نزلت من القرآن الكريم تشير إلى هذا المعنى أيضاً ، وكانت بذلك توجيهاً من أول الأمر إلى أن يكون العمل باسم الله ، لا باسم شىء آخر أوكائن آخر .

(اقرأ باسم ربك الذى خلق) .

وآيات أخرى أشارت إلى المعنى الذى نقصده ناهية عن أكل مما لم يذكر اسم الله عليه (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق) .

أما ما ذُبح على النصب ، فإنه فسق أيضاً ، لأنه لم يذكر اسم الله عليه ، أو لأنه – بتعبير آخر – لم يرد به وجه الله تعالى ، والإسلام إذن – وفى ضوء ما سبق – هو الدين فى إطلاقه

المطلق ، وفى تحديده المحدد ومما لا شك فيه أنه لا دين خارج إسلام الوجه لله ، وأن الدين – فى معناه الصحيح – إنما هو إسلام الوجه لله ، وسواء عرّفت الدين بهذا التعريف أو ذاك ، فإن معناه الصادق هو إسلام الوجه لله .

ومن هنا كان لفظ الإسلام أصدق تعبير عن الدين ، وكانت القضية : (إن الدين عند الله الإسلام) قضية لا شك فيها .

وكانت القضية المترتبة على هذه : (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) .

قضية – هى الأخرى – لا شك فيها .

إن كل من يرفض إسلام الوجه لله إنما يرفض الدين ، وبمقدار بعد الإنسان أو قربه من إسلام الوجه لله يكون قربه أو بعده من المعنى الصادق لدين الله .

وليس بغريب – والأمر كذلك – أن يتحدث القرآن الكريم عن طائفة من أهل الكتاب انطوت جوانحهم على الإخلاص فيعلنون إسلامهم بمجرد أن يتلى عليهم القرآن ، بل يعلنون أنهم كانوا من قبله مسلمين يقول تعالى :

(ولقد وصَّلْنا لهم القول لعلهم يتذكرون ، الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون ، وإذا يُتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنّا كنا من قبله مسلمين ، أولئك يُؤتَون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة ، ومما رزقناهم ينفقون ، وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه ، وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين) .

والنتيجة المنطقية لما سبق ، ما أعلنه القرآن الكريم بقوله تعالى :

(شرعَ لكم من الدين ما وصَّى به نوحاً والذى أوحينا إليك وما وصَّينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرَّقوا فيه ، كَبُر على المشركين ما تدعوهم إليه ، الله يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من يُنيب) .

ويقول سبحانه :

(قولوا آمنا بالله وما أُنزل إلينا وما أُنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أُوتى موسى وعيسى وما أُوتى النبيُّون من ربهم ، لا نفرّق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) .

وإسلام الوجه لله هو التوحيد ، وإذا كانت سمة النصرانية فى وضعها الراهن على ما يروى (البيرونى) هى التثليث فإن سمة الإسلام – حسبما يقول بحق – هى التوحيد ، إنها توحيد الله بالربوبية ، بالخلق ، بالإيجاد ، بالإعطاء ، بالمنع :

(قل اللهم مالك الملك ، تؤتى الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء ، بيدك الخير ، إنك على كل شيء قدير) .

إنه سبحانه وتعالى يملك الملك ، فى اليسير منه ، والعظيم فى الصحة ، فى القوة ، فى الجاه ، فى الرزق ، فى الغنى .

وهو يملكه فى الناحية القلبية ، وقلب الإنسان بين أصبعين من أصابع الرحمن ، وهو يملكه فى الهداية ، ومن يهدِ الله فماله من مُضل ، وهو يملكه فى الآخرة : (مالك يوم الدين) .

إنه سبحانه وتعالى المتصرف المطلق فى الصغير والكبير ، لا يعزب عن علمه ولا عن قدرته ، ولا عن إرادته وحكمته مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر ، وهيمنته شاملة عاملة مطلقة .

ونعود فنذكر قوله تعالى :

(قل يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألاّ نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولوا فقولوا : اشهدوا بأنّا مسلمون) .

أى فإن لم تعترفوا معكم ، بأنه يجب أن تخصص العبادة لله وحده ، وأن ينتفى الشرك به سبحانه ، وألاّ يتخذ المخلوقون بعضهم بعضاً أرباباً .

أى فإن لم يعترفوا بهذا التوحيد وأعرضوا فأعلنوا أنكم مسلمون أى موحدون .

الإسلام هو التوحيد

والإسلام كما كانت الأديان فى نقائها وصفائها من قبل ، إنما هو التوحيد ، وهو دعوة إلى التوحيد ، فالتوحيد – أى إسلام الوجه لله – جوهره وأساسه ، وكل تعاليمه ومبادئه ، إنما هى توحيد ، وهى وسائل ومناهج للوصول بالإنسان إلى التوحيد . . (أشهد أن لا إله إلا الله) إنها رسالة السماء الخالدة (وأشهد أن محمداً رسول الله) . الذى بلّغ الرسالة فأدى – بهذا التبليغ الصادق – الأمانة ، التى وكلت إليه وهى التوحيد .

التوحيد : هو مبدأ الإسلام وجوهره ، ولكن التوحيد ليس مجرد قول ، وليس مجرد كلمة لا أساس لها فى القلب والشعور .

وإذا لم يؤمن الإنسان بالتوحيد إيماناً يملك عليه جميع أقطاره ، فيتغلغل فى جميع أنحاء شعوره ووجدانه ، ويغمر قلبه ونفسه ، ويكيف جسمه ويوجهه الوجهة السليمة فإنه لا يكون

كامل الإيمان ، ومن أجل إيجاد الإنسان الموحد فى صورة واقعية كانت تعاليم الإسلام . فالصلاة إنما هى انفصال عن كل ما سوى الله ، من أجل الاتصال بالله فهى توحيد .

ومن هنا كان بدؤها « الله أكبر » ليشعر الإنسان من المبدأ أن جميع ما فى العالم من بشر تتعلق بهم الآمال ، أو يُناط بهم الرجاء ، فإن الله أكبر منهم وأجل وأعظم ، فيجب أن تتعلق الآمال ، به وحده ، وأن يقتصر الرجاء عليه سبحانه ، ثم تتوالى جميع الأوضاع فى الصلاة ، من قراءة ، وركوع ، وسجود ، وتشهد ، لتعلن بكل حركة وبكل وضع ، الانفصال عما سوى الله من أجل الاتجاه إلى الله وحده ومن أجل إسلام الوجه إليه سبحانه .

والصوم : إنما هو تنزه عن المادة ، وعن السوء فى القول والعمل فترة من الزمن من أجل مرضاة الله ، إنه تنزه عن نقص البشرية ، الذى يتمثل فى شهوات المعدة ، لتخلص الروح فترة إلى التأمل فى كمال الله ، إنه محاولة للتخلق بأخلاق الله ، لأنه – سبحانه – الكمال المطلق ، الذى لا يحتاج إلى شىء ، والذى لابد لمن يأمل فى شىء من الكمال من أن يتحلى بما أراده – سبحانه – منه ، إنه تنزه عن النقص فى سبيل التوحيد .

والزكاة : إنما هى بذل المادة فى سبيل الله إنها بذل المادة ، التى يجرى وراءها البشر ويكادون يعبدونها ، بذلها بعد امتلاكها ، بذلها ، وقد كان فيها الوسيلة للملاذ والشهوات ، إنها تجرد عن المادة توحيداً لله سبحانه .

وفى الحج – والله نسأل أن يكتبه لنا كل عام ، فإنه تجريد كله ، إنه تجرد عن الماضى ، فهو فى بدايته التوبة عن الذنوب والآثام ، أى عن الفترات التى غفل فيها الإنسان عن ذكر الله ، فأشرك معه غيره ، واتخذ إلهه هواه ، فنسى الله فوقع فى المعصية والإثم .

هو تجرد – حتى عن ملابس الماضى – وهو تلبية من أول لحظاته ، تلبية هى استجابة لله وحده ، أو هى توحيد خالص ، إنها استجابة كاملة للأمر ينفى الشريك . لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك . إن هذا النداء الذى يتعالى – وله عبير طيب – وله سناء متألق ، فيصعد إلى السماء فتفتح له أبوابها ، إن هذا النداء إنما هو الانطواء الكامل تحت راية التوحيد .

وتتوالى أعمال الحج كلها ، واضحة سافرة ، أو رمزية مستعلية معلنة التوحيد منادية به ، تسعى وراءه طائفة من أجله واقفة تستشرفه ، راجية من الله سبحانه وتعالى : أن يقبل أصحابها فى زمرة الموحدين ، يقول الله تعالى :

(وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه ، أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) . هذه بعض معالم التوحيد فى العقيدة .

ومعالم التوحيد فى الأخلاق ألا يصدر عن الإنسان ولا يرد فى سلوكه الشخصى أو فى سلوكه الاجتماعى أمر إلا عن توجيه إلهى ، ومعالم التوحيد فى « النية » أن يكون الإنسان ، فى كل ما يأتى وما يدع – قاصداً وجه الله تعالى هو أن تكون حياته كلها لله ، وليست الحياة وحدها وإنما الممات أيضاً .

والتوحيد – على العموم – هو أن يهب الإنسان نفسه لله فى قيامه وجلوسه فى نومه ويقظته ، فى حديثه وصحته ، فى غضبه ، ورضاه ، فى صداقته ، وعداوته فى بيعه وشرائه ، فى عمله وراحته ، فى أفكاره وآرائه ، فى توجيهه وإشاراته ، فى نصائحه وتحذيراته ، فى كل نفس يتنفسه ، أو طرفة عين يطرفها .

ونعود فنذكر ، كقانون جامع ، أن توحيد الإنسان : هو أن تكون صلاته ونسكه ومحياه ومماته ، لله رب العالمين لا شريك له ، ويقترب الإنسان من المثل الأعلى الإسلامى بمقدار قربه من هذه المعانى عقيدة وأخلاقاً ، ونية .

وقوله تعالى : (ألا لله الدين الخالص) إنما يشير بها إلى خلوصه من كل شائبة شرك سواء أكان الشرك فى العقيدة أم كان فى الأخلاق والنية ، والله سبحانه ، أغنى الشركاء فمن عمل عملا لله ولغيره فإن الله سبحانه برىء من عمله ، وكذلك من اعتقد شريكاً لله فالله برىء منه . « إنما الأعمال بالنيّات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه » ، وذلك كله يسلمنا إلى أن المعنى الحقيقى للإسلام هو كما ذكرنا .

إسلام الوجه لله ، ويعبر عن هذا فى وضوح جميل الحديث الشريف الذى رواه الصحابى الجليل عمرو بن عبسة قال : قال رجل : يارسول الله : ما الإسلام ؟

قال صلوات الله وسلامه عليه : « أن يسلم لله قلبك ، وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك » . وما من شك فى أن سلامة المسلمين من لسان الإنسان ويده إنما ترجع إلى إسلام قلبه لله ، وأنها على حد قول رسول الله ﷺ :

« لو خشع قلبه خشعت جوارحه » وعلى حد قوله ﷺ : « ألا إن فى الجسد مضغة ، إذا صلحت ، صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب » .

فى إسلام الوجه لله

قد يتساءل إنسان : ماكيفية إسلام الوجه لله ؟

وما هى الوسائل لذلك ؟

أما الوسائل فإنها المبادئ الإلٰهية التى قررها الله سبحانه على لسان رسوله ﷺ قرآناً كانت ، أو سنة قولية ، أو عملية ، ولا مناص لكل من يريد أن يسلم وجهه لله – سبحانه – من أن يرجع فى ذلك إلى القرآن ومن أن يرجع فى ذلك أيضاً إلى السُّنّة ، أى أنه لا مناص لكل من يريد الهداية أو التدين الحق من أن يلجأ إلى القرآن والسنة ، وذلك أن القرآن الكريم هو النص الوحيد فى العالم الآن الذى احتفظ بحفظ الله له ، بالتعبير الإلٰهى الذى يشرح الدين ويوضحه دون تحريف ، بزيادة أو نقص ، والقرآن لم يحتفظ لما أوحاه الله – بالمعنى فحسب – وإنما احتفظ بالتعبير نفسه ، وهذه منزلة لا تدانيها منزلة ودرجة فى الدقة والصدق ، ولا يضارعها غيرها حتى ولا من قرب ، وإنها لمفخرة للمسلمين أن يكون الدين الذى يدينون به إنما يرجعون فيه إلى النص الإلٰهى نفسه فى دقته ، وفى نضارته وفى بركته ، وفى سنائه ولألائه .

وإنها لمفخرة للغة العربية أن تحتفظ بالنص الإلٰهى الوحيد فى العالم ، أن تحتفظ بالكتاب الذى أُحكمت آياته ، ثم فُصِّلت من لدن حكيم خبير .

أما النتيجة الأولى التى نريد أن نصل إليها فهى : أن الدين ، وإسلام الوجه لله والتوحيد ، والإسلام ، كلها بمعنى واحد ، يفسر بعضها بعضاً ، ويشرح بعضها بعضاً ، وكلها مطلقة عامة ، لا يحدها زمان ولا مكان ، وكلمة « الإسلام » خير ما يعبر عنها ، وفى كمالها : (اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الإسلام ديناً) .

والنتيجة الثانية : هى أن جوهر الشخصية الإسلامية ، أو شخصية المسلم ، إنما هى إسلام الوجه لله أو التوحيد ، أو التدين الصادق ، أو الإسلام ، وبمقدار قرب المسلم من الإسلام يكون كمال شخصيته .

فى غيبة التشريع الإسلامى

هذا الإسلام الذى نشأت عليه ، والذى أحمد الله حمداً جزيلا على هذه النعمة الكبرى التى لا تعدلها نعمة قد طُبِّق وخرج عن أن يكون مجرد مبادئ إلى أن أصبح واقعاً ، فأنتج بعقائده

وأخلاقه وتشريعه خير أمة أخرجت للناس ، واستمر الإسلام يطبق التشريع الإلهى المعصوم عدة قرون إلى أن أنشأت مصر ما سمته المحاكم المختلطة ، وتخلت فيها عن التشريع الإسلامى ، وفى هذه الفترة بالذات بدأ الاحتلال وبدأ التخلى كلية عن التشريع الإسلامى ، فإنه حينما احتل المستعمرون أرض الإسلام بدءوا يهدمون ما يقوى الشعور الإسلامى فى النفوس ، ومن أجل ذلك غيروا القوانين الإسلامية وأتوا بقوانين أوربية ألزموا بها أهل الأوطان المحتلة ، وأتوا بقضاة من بلادهم يحكمون بقوانينهم ، وينشرون تشريعهم ، ولم يكتفوا بذلك ، وإنما أنشئوا مدارس لتعليم القوانين الأوربية ، وأصبحت هذه المدارس كليات حينما أنشئت الجامعات ، وهى كليات الحقوق ، وهذه الكليات تدرس القوانين الأوربية وتنفق عليها الدولة لتخرّج قضاة ووكلاء نيابة ومحامين تخصصوا فى التشريع الأوربى ، واستمر الأمر كذلك سنين طوالا ، فبدأ على مر الزمن وكأنه أمر طبيعى ، وأصبح انفصال المسلمين عن شريعتهم وإحلال شريعة أوربا محلها أمراً عادياً ، ولا يجدون غضاضة فى إنفاق الأموال الطائلة على كليات تفصلهم عن تشريعهم .

وما من شك فى أنهم كانوا مغلوبين على أمرهم أيام كان الاستعمار جاثماً على صدور الأمم الإسلامية ، يأمر فيها وينهى ولكن الاستعمار قد خذله الله وانهزم ، ورجع المستعمرون إلى بلادهم ، وكان من الطبيعى أن يزيل المسلمون آثار الاستعمار فى التعليم الذى وضع المستعمر برامجه لتخرج مجرد موظفين فى اللغة العربية التى كان يحاول أن يقضى عليها كما فعل فى الجزائر ، وفى الأخلاق التى حاول أن ينزل بها إلى المستوى الذى لا تنهض معه .

وفى التشريع الذى جعله أوربياً ، وأحله محل شريعة الإسلام ، ومهما تكن مقاومة آثار الاستعمار فى ميادين مختلفة فإن مقاومة هذه الآثار وإزالتها فى مجال التشريع لا تجد أثراً فى وزارات العدل فى مختلف الأقطار الإسلامية ، ولا نجد لها أثراً فى دوائر القضاء .

ومن سخرية الأقدار أن يقول قائل : وأين هو القانون الإسلامى الذى نحكم به ؟ إن القانون الإسلامى فى كتب الفقه الإسلامى ، وكتب الفقه هذه كتب عربية ، ألفاظها عربية ، وجملها عربية ، وخطها عربى .

ولقد وصل الاستعمار أن صاغ خريجى كليات الحقوق بحيث لا يفهمون – بعد الليسانس – كتاباً عربياً فى المواد التشريعية ، وليس الأمر بغريب .

أتدرى أيها القارئ الكريم أن جدول التدريس فى كليات الحقوق يخصص عشرين محاضرة فى الأسبوع للقوانين الأوربية ، ومحاضرتين فقط للشريعة الإسلامية .

أتدرى لو أنشئت هذه الكليات فى فرنسا أو فى انجلترا أكانت تفعل أكثر من ذلك ؟ وهذه

الكليات هى السر فى تخلفنا فى مجال التشريع ، وذلك أنها دفعتنا بالتبعية للمشرعين الغربيين ندور فى فلكهم ، ونسير على خطواتهم .

والتشريع الإسلامى من مفاخر الحضارة الإسلامية ، ورجاله من نوابغ المفكرين فى العالم لكننا الآن – بعد ذلك النبوغ وتلك العبقرية – قد أصبحنا أتباعاً مقلدين .

وهذا الموضوع أطرحه أمام القادة ولعل الله يحدث بعد ذلك أمراً فيما يتعلق بهذه الكليات .

ولكن السؤال الذى يطرح نفسه بعد ذلك هو ما حدث فى غيبة التشريع الإسلامى ، ماذا حدث ؟ شركله ، وإننى حينما أتحدث عن فترة غيبة التشريع الإسلامى التى ما زالت مستمرة لا أتحدث عن مصر وحدها ، وإنما أتحدث عن كل الدول التى غاب عنها التشريع الإسلامى ومازال غائباً ، أتحدث عن كل الدول التى تنتسب إلى الإسلام وقد ألغت شريعة الله فيها .

ماذا حدث فى غيبة التشريع الإسلامى ؟

١ – حدث كل هذا الرجس الذى نراه ونشاهده أينما سرنا ، فى المعاملات وفى السلوك وفى العقيدة ، وفى الاستهتار بالقيم الدينية استهتاراً بلغ من شأنه أن أصبح الإلحاد فى دين الله من الأمور التى تمر فلا تسترعى الانتباه ، الإلحاد فى دين الله كفراً وارتداداً ، والإلحاد فى دين الله استهتاراً بالقيم الدينية .

٢ – والإلحاد فى دين الله جدلا فى الحدود القاطعة التى فرضها الله عقاباً على الجرائم .

وإذا أخذنا الآن بعض الأمثلة فإننا نقول :

إن قطع يد السارق أمر فرضه الله لا خلاف فيه ، وهو علاج ناجع ضد السرقة ، ويكفى أن يرى الناس الجد فى التنفيذ ، يكفى أن تقطع يد سارق أو اثنين أو عدد يعد على أصابع اليد ، فتمتنع عن السرقة نهائياً .

وقد تمر أعوام لا تقطع فيها يد ، وذلك أن طابع الجد يجعل كل من تسول له نفسه السرقة ينظر إلى يده فيتخيلها مقطوعة ، فيرهب ويهرب من مجرد التفكير فى الأمر .

ولكن ذوى التفكير المنحرف يهرجون بأن الأيدى سيقطع كثير منها فتكون البطالة وتقل الأيدى العاملة ، ويقل الإنتاج ، ويستمرون فى هذا التهريج كلما دعا داع إلى كتاب الله . وفى غيبة التشريع الإسلامى أنشأت الدول المستعمرة فى بعض الأقطار الإسلامية مزارع ومصانع لإنتاج الخمور ، والخمر على حد الوصف فى القرآن رجس من عمل الشيطان قليلها حرام وكثيرها حرام ، واتخاذها كدواء حرام ، فما جعل الله دواء أمتى – كما قال رسول الله ﷺ – فيما حرم عليها ، وقد ذهب الاستعمار إلى غير رجعة ومن الواجب على المجتمع أن يطبق حدود الله

ويلتزمها ، فإن الله سبحانه يمده بنصر دائم ، وهو سبحانه يمد بهذا النصر الفرد إذا التزم حدود الله ، ويمد به المجتمع إذا طبق حدود الله ، وقد أبان الله سبحانه وتعالى ذلك بقوله :

(ولينصرنَّ الله من ينصره إن الله لقوى عزيز ، الذين إنْ مكنّاهم فى الأرض أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور) .

أما دوام النصر فإن الله سبحانه وتعالى يقول عنه :

(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنَّهم من بعد خوفهم أمناً) .

وما من شك فى أن النصر من عند الله وحده :

(وما النصر إلا من عند الله) .

وما من شك فى أنه إذا نصر الله فلا غالب عن نصره :

(إن ينصركم الله فلا غالب لكم) .

ولقد وضع الله سبحانه وتعالى قوانين للنصر ، ووضع القوانين لدوام النصر ، وكلها تتركز فى طاعته فيما أمر ، وفى الانتهاء عما نهى .

أيها الإخوة المؤمنون : إن قوله تعالى :

(ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون) .

يجب أن يدوى دائماً فى آذاننا ، وأن يكون دائماً على ألسنتنا ، وأن تمتلئ قلوبنا وأن تتحقق التقوى .

إن الذين يحبون أن يكونوا فى عداد من رضى الله عنهم ورضوا عنه لن يصلوا إلى هذا الرضوان إلاّ إذا أقبلوا على نشر كلمة الله ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا .

والطريق أمامهم مفتوح للعمل والنشاط .

ويكفى إرادة الخير ونية الخير ، ليصلوا إلى مرضاة الله ، وليكونوا فى زمرة من رضى الله عنهم ورضوا عنه ، ويكونوا من حزب الله .

وبعد/

فلا ريب فى أن جهادنا المقدس للنهوض بالمجتمع لم ينته بعد ، ومن أجل الوصول بجهادنا إلى غايته التى نرجوها له – وهى تطبيق الإسلام بجميع كلياته وجزئياته يجب على كل منا أن يتحمل مسئوليته فى ذلك بحسب موقعه فى المجتمع .

obeikandl.com

إن القرآن الكريم يستعمل مادة (أمر) حينما يتحدث عن مسئولية كل منا تجاه المجتمع الإسلامى : (تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر).

والرسول ﷺ يستعمل (أمر) كذلك عن حذيفة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال :

« والذى نفسى بيده لتأمرنّ بالمعروف ولتنهونّ عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم » رواه الترمذى وحسّنه .

وروى الإمام مسلم بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

« ما من نبى بعثه الله فى أمة قبلى إلاّ كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه ، فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » .

فإذا ما تحمّل كل منا مسئوليته ، بحسب موقعه فى المجتمع عاد أمر الأمة الإسلامية على ما كان عليه ، قوة وعزة ومرضاة لله تعالى ولرسوله ﷺ . .